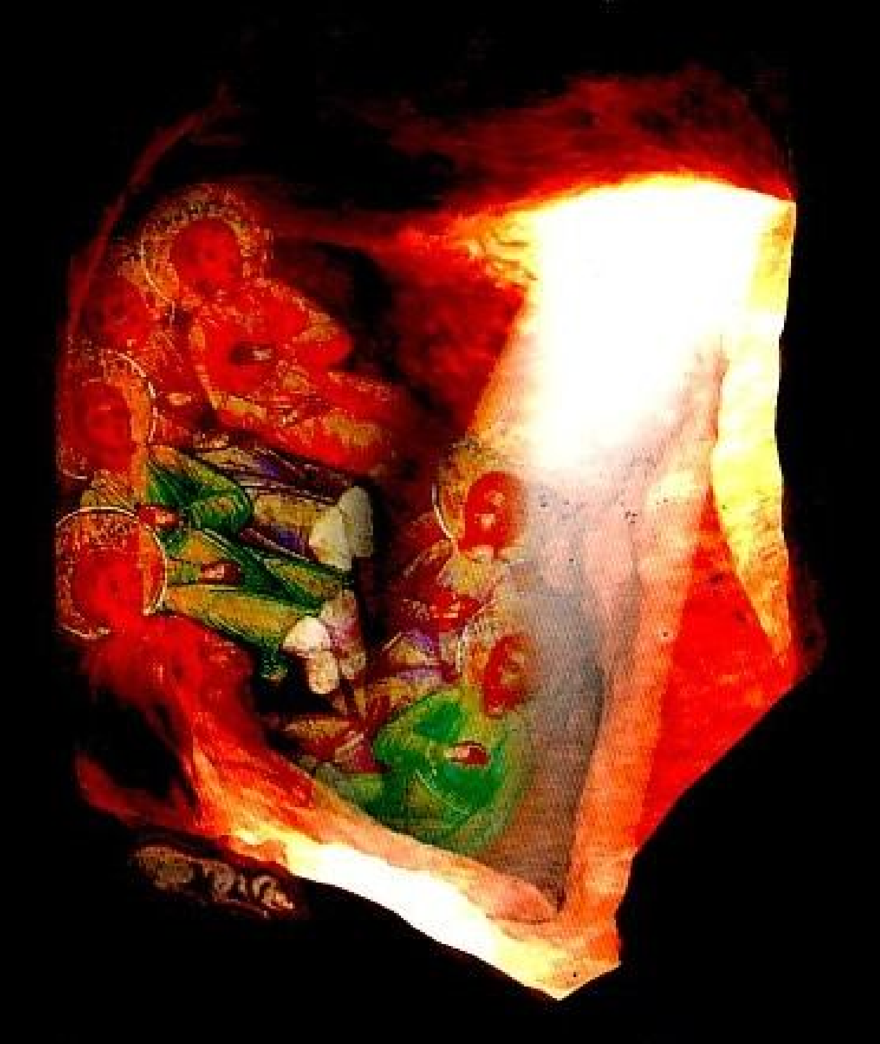
أهل الكهف

فى القرآن وكتب المسيحيين



د. أحمد حجازى السقا

مكتبة النافذة


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT



وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT




أهل الكهف
فى القرآن وكتب المسيحيين

د. أحمد حجازى السقا

أستاذ مقارنة الأديان

جامعة الأزهر

مكتبة النافذة



رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً



أهل الكهف فى القرآن وكتب المسيحيين

د. أحمد حجازى السقا

الطبعة الأولى / ٢٠٠٥

رقم الإيداع ١٤٦٧٦/ ٢٠٠٥

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

الجيزة ٢شارع الشهيد أحمد حمدى - الثلاثينى - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٢

Email : alnafezah@hotmail.com




بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وإن مّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾

[الرعد: ٤٠]


THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بخير وإحسان إلى يوم الدين.

وبعد. . . .

فقصة أهل الكهف ليست في التوراة ولا في الأناجيل، وإنما هي مذكورة في كتب الأساطير الذهبية عند المسيحيين – لا النصارى –، وقد دخلوا الكهف في بدء القرن الثاني الميلادي، وخرجوا منه في بدء القرن الخامس. قبل مولد محمد ﷺ بقليل. وما تزال الكنيسة التي سماها القرآن ﴿مَسْجِداً﴾ موجودة إلى هذا اليوم. وهم كانوا نصارى يبشرون في مدينة "أفسوس" المجاورة لـ "تركيا" بمحمد ﷺ، وقد أرادا الوثنيون إجبارهم على الأكل مما ذبح باسم الأوثان. وإلا يكون لهم هلاك على أيديهم إذا أصروا على الأكل مما ذبح باسم الله ﷻ، ولما فضلوا الإيمان على الكفر؛ فرُّوا بدينهم إلي كهف في جبل بأفسوس.

والنقود التي وُجدت معهم حال إحيائهم وهم في الكهف، هي التي تحدد مدة مكثهم في الكهف. والتاريخ الذي على النقود، وتاريخ الكنيسة التي اتخذت

عليهم، يدلان على أن المدة نحو ثلاثمائة سنة. ومنهم من يقول بأكثر، ومنهم من يقول بأقل.

ومن المحتمل أن يوم سكّ النقود إلى يوم الشروع في بناء المسجد نحو ثلاثمائة. [illegible] نقلوهم من الكهف إلى القبر الذي أعدُّوه لهم في الكنيسة بعد الفراغ من بنائها إلا بعد تسع سنوات، هي مدة بناء الكنيسة.

هذا، وقد رتبنا هذا الكتاب على النحو التالي:

١- ذكرنا نص القرآن الكريم في أهل الكهف.

٢- ذكرنا تفسير نص القرآن الكريم من تفسير الإمام الخازن ﷺ.

٣- ذكرنا قصة أهل الكهف من بعض الكتب المسيحية.

٤- ذكرنا أن أهل الكهف كانوا نصارى، و لم يكونوا مسيحيين.

٥- بيَّنا معنى ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾[1] وذكرنا نصوص الوعود، خاصة قول المسيح في الوعد. وهو "السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول".

٦- بيَّنا معنى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾[2] وذكرنا النصوص عن الساعة من الأناجيل الإزائية المتشابهة. وهي متى ومرقس ولوقا. وفيها: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد. . . " وفيها: "فيصادفكم ذلك اليوم بغتة" وهي ساعة هلاك اليهود والأمم في معارك "يوم الرب".

والله ولي التوفيق.

١١ صفر ١٤٢٦هـ - ٢١ مارس ٢٠٠٥ م

د/ أحمد حجازي أحمد السقا

([1]) يونس: ٥٦.

([2]) الكهف: ٢١.

الفصل الأول
في
قصة أهل الكهف من القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجاً (١) قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً (٤) مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفاً (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً (٨) أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً (٩) إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً (١٤) هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا

يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَته ويُهَيِّـئْ لَكُم مِّـنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً (١٦) وتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْـيَمِينِ وإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّـهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ومَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ ولِياً مُّرْشِداً (١٧) وتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وهُمْ رُقُـودٌ ونُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وذَاتَ الشِّمَالِ وكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَـوِ اطَّلَعْـتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً ولَمُلِئْتَ مِنهُمْ رُعْباً (١٨) وكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَـا لَبِثْـتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْـهُ ولْيَتَلَطَّفْ ولا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً (١٩) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَـرُوا عَلَـيْكُمْ يَرْجُمُـوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ولَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً (٢٠) وكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَـيْهِمْ لِيَعْلَمُـوا أَنَّ وعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَـيْهِم مَّسْـجِداً (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ويَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْـبُهُمْ رَجْمـاً بِالْغَيْـبِ ويَقُولُونَ سَبْعَةٌ وثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَـلا تُمَـارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً ولا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً (٢٢) ولا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ واذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّـي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً (٢٤) ولَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وازْدَادُوا تِسْعاً (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن ولِيٍّ ولا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾[٣].

التفسير

من لُباب التأويل في معاني التنزيل

([3]) الكهف: ١ - ٢٦.

للخازن ﷺ:

قوله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ أثنى الله سبحانه وتعالى على نفسه بإنعامه على خلقه، وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمه عليهم. وهي الإسلام، وما أنزل على عبده محمد ﷺ من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم، وخص رسوله ﷺ بالذكر؛ لأن إنزال القرآن كان نعمة عليه من الخصوص وعلى سائر الناس على العموم ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجاً﴾ أي لم يجعل له شيئا من العوج قط. والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان. والمراد: نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه، وقيل: معناه لم يجعله مخلوقًا.

روى عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ قال: غير مخلوق ﴿قَيِّماً﴾ أي مستقيمًا. وقال ابن عباس: عدلاً. وقيل: قيمًا على الكتب كلّها مصدقًا لها، وناسخًا لشرائعها ﴿لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً﴾ معناه لينذر الذين كفروا بأساً شديدًا. وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾[4] ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي من عنده ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾ يعني الجنة ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ﴾ أي مقيمين فيه ﴿أَبَداً (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً (٤) مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي بالولد وباتخاذه. يعني: أن قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط.

فإن قلت: اتخاذ الله ولداً في نفسه محال فكيف قيل: ما لهم به من علم؟ قلت: انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل إليه، وقد يكون في نفسه محالاً لا

---

(٤) الأعراف: ١٦٥.

يستقيم تعلق العلم به ﴿وَلا لآبَائِهِمْ﴾ أي ولا لأسلافهم من قبل ﴿كَبُرَتْ﴾ أي عظمت ﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي هذا الذي يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة؛ لكونه في غاية الفساد والبطلان، فكأنه يجرى على لسانهم على سبيل التقليد ﴿إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً﴾ أي ما يقولون إلا كذباً. قيل حقيقة الكذب: أنه الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه. وزاد بعضهم: مع علم قائله أنه غير مطابق. وهذا القيل باطل؛ لأن الله سبحانه وتعالى وصف قولهم بإثبات الولد بكونه كذبًا مع أن الكثير منهم يقولون ذلك، ولا يعلمون كونه باطلاً. فعلمنا أن كل خبر لا يطابق المخبر عنه؛ فهو كذب، والكذب خلاف الصدق. وقيل هو الانصراف عن الحق إلى الباطل. ورجل كذاب وكذوب إذا كان كثير الكذب.

قوله ﷻ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي قاتل نفسك ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾ أي من بعدهم ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿أَسَفاً﴾ أي حزنا وقيل: غيظا. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ أي مما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها. وقيل يعني النبات والشجر والأنهار. وقيل: أراد به الرجال خاصة فهم زينة الأرض، وقيل: أراد به العلماء والصلحاء. وقيل: جميع ما في الأرض هو زينة لها.

فإن قلتك: أي زينة في الحيّات والعقارب والشياطين؟ قلت: زينتها كونها تدل وحدانية الله تعالى وكمال قدرته. وقيل: إن جميع ما في الأرض ثلاثة معدن ونبات وحيوان، وأشرف أنواع الحيوان الإنسان. قيل الأولى أن لا يدخل في هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ فمن يبلو يجب أن لا يدخل في ذلك. ومعنى ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ نختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أي أصلح عملاً. وقيل: أيهم

أترك للدنيا وأزهد فيها ﴿وإنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾ أي من الزينة ﴿صَعِيداً جُرُزاً﴾ يعني مثل أرض لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة. والصعيد وجه الأرض. وقيل: هو التراب. والجرز الأملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أي أظننت يا محمد ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾؟ أي هم عجب من آياتنا. وقيل: معناه أنهم ليسوا بأعجب آياتنا. فإن ما خلقنا من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم.

والكهف: الغار الواسع في الجبل.

والرقيم: هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف، وقصتهم، ثم وضع على باب الكهف. وكان اللوح من رصاص. وقيل من حجارة.

وعن ابن عباس: أن الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف.

وقال كعب الأحبار: هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف. وقيل: اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف.

ثم ذكر الله ﷻ قصة أصحاب الكهف فقال عز من قائل: ﴿إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ﴾ أي صاروا إليه، وجعلوه مأواهم. والفتية: جمع فتى، وهو الطري من الشباب ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك وإحسانك، وهب لنا الهداية والنصر والأمن من الأعداء ﴿وهَيِّئْ لَنَا﴾ أي أصلح لنا ﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾ أي حتى نكون بسببه راشدين مهديين. وقيل: معناه واجعل أمرنا رشدا كله.

***

ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم إليه:

قال محمد ابن اسحق ومحمد بن يسار: مرج أمر أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الأصنام، وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله وتوحيده.

وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له "دقيانوس"، عبد الأصنام، وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه، وكان يترل قرى الروم فلا يترك في القرية نزلها أحد إلا فتنه عن دينه حتى يعبد الأصنام أو يقتله.

فلما نزل مدينة أصحاب الكهف، واسمها أفسوس؛ استخفى منه أهل الإيمان وهربوا في كل وجه. فاتخذ شُرَطا من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم. فجعل أولئك الشُرَط يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم ويخرجونهم إلى دقيانوس؛ فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الأصنام. فمنهم من يرغب في الحياة، ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل.

فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان جعلوا يُسلِمون أنفسهم للعذاب والقتل، فيقتلون ويقطعون، ويجعل ما قطع من أجسادهم على أسوار المدينة وأبوابها. فلما عظمت الفتنة وكثرت، ورأى ذلك الفتية حزنوا حزنًا شديدًا؛ فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء، وكانوا من أشراف الروم. وهم ثمانية نفر. وبكوا وتضرعوا إلى الله ﷻ، وجعلوا يقولون ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾ اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة، وأرفع عنهم البلاء حتى يعلنوا عبادتك.

فبينما هم على ذلك. وقد دخلوا مصلاهم. أدركهم الشرط فوجدوهم سجودًا يبكون ويتضرعون إلى الله ﷻ فقال لهم الشرط: ما خلفكم عن أمر

ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم إليه:

قال محمد ابن اسحق ومحمد بن يسار: مرج أمر أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الأصنام، وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله وتوحيده.

وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له "دقيانوس"، عبد الأصنام، وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه، وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في القرية نزلها أحد إلا فتنه عن دينه حتى يعبد الأصنام أو يقتله.

فلما نزل مدينة أصحاب الكهف، واسمها أفسوس؛ استخفى منه أهل الإيمان وهربوا في كل وجه. فاتخذ شُرَطا من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم. فجعل أولئك الشُّرَط يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم ويخرجونهم إلى دقيانوس؛ فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الأصنام. فمنهم من يرغب في الحياة، ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل.

فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان جعلوا يُسلِمون أنفسهم للعذاب والقتل، فيقتلون ويقطعون، ويجعل ما قطع من أجسادهم على أسوار المدينة وأبوابها. فلما عظمت الفتنة وكثرت، ورأى ذلك الفتية حزنوا حزنًا شديدًا؛ فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء، وكانوا من أشراف الروم. وهم ثمانية نفر. وبكوا وتضرعوا إلى الله ﷻ، وجعلوا يقولون ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾ اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة، وارفع عنهم البلاء حتى يعلنوا عبادتك.

فبينما هم على ذلك. وقد دخلوا مصلاهم. أدركهم الشرط فوجدوهم سجودًا يبكون ويتضرعون إلي الله ﷻ فقال لهم الشرط: ما خلفكم عن أمر

وقال كعب الأحبار: مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مـــرارًا. فقال لهم الكلب: ما تريدون مني؟ لا تخشوا مني أنا أحب أحباب الله ﷻ، فناموا حتى أحرسكم.

وقال ابن عباس: هربوا من "دقيانوس" وكانوا سبعة. فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم، وتبعهم الكلب. فخرجوا من البلد إلى الكهف. قـــال ابـــن عباس: فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء لوجه الله ﷻ.

وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم اسمه "تمليخا"، فكان يبتاع لهم أرزاقهـــم مـــن المدينة سرًا، وكان من أجملهم وأجلدهم، وكان إذا دخل المدينة لبس ثيابًا رثـــة كثياب المساكين، ثم يأخذ ورقة فينطلق إلى المدينة، فيشتري لهم طعامًا وشـــرابًا ويتجسس لهم الخبر. هل ذكر هو وأصحابه بشيء؟ ثم يرجع إلى أصحابه. فلبثـــوا بذلك ما شاء الله أن يلبثوا.

ثم قدم "دقيانوس" المدينة وأمر عظماء أهلها أن يذبحوا للطواغيت. ففزع من ذلك أهل الإيمان. وكان تمليخا بالمدينة يشتري لأصحابه طعـــامهم. فرجـــع إلي أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل فأخبرهم أن الجبار قد دخل المدينة، وأنهم قد ذُكروا والتمسوا مع عظماء المدينة. ففزعوا ووقعوا سجودًا يدعون الله ويتضرعون إليه، ويتعوذون من الفتنة.

فقال لهم تمليخا: يا إخوتاه ارفعوا رؤوسكم وأطعموا وتوكلوا على ربكـــم. فرفعوا رؤوسهم وأعينهم تفيض من الدمع. وذلك عند غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدثون، ويذكر بعضهم بعضًا، فبينما هم على ذلك إذ ضـــرب الله ﷻ علـــى آذانهم في الكهف، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف. فأصبه ما أصابهم، وهـــم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤوسهم.

فلما كان من الغد تفقدهم "دقيانوس" والتمسهم فلم يجدهم. فقال لبعض عظماء المدينة: لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا. لقد ظنوا أن بي غضبًا عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمري. ما كنت لأجهل عليهم إن هم تابوا وعبدوا الهتي.

فقال عظماء المدينة: ما أنت بحقيق أن ترحم قومًا فجرة مردة عصاة. قد كنت أجلت لهم أجلاً، ولو شاءوا لرجعوا في ذلك الأجل، ولكنهم لم يتوبوا. فلما قالوا ذلك غضب غضبًا شديدًا، ثم أرسل إلى آبائهم فأتي بهم فقال: أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني. فقالوا: أما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة؟ إنهم ذهبوا بأموالنا، وأهلكوها في أسواق المدينة. ثم انطلقوا إلى جبل يدعى "ينجلوس". فلما قالوا له ذلك خلّى سبيلهم، وجعل ما يدري ما يصنع الفتية. فألقى الله سبحانه وتعالى في نفسه أن يأمر بسد باب الكهف عليهم، وأراد الله ﷻ أن يكرمهم بذلك، ويجعلهم آية لأمّة تُستخلف من بعدهم، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

فأمر "دقيانوس" بالكهف فسد عليهم، وقال: دعوهم كما هم في كهفهم يموتون جوعًا وعطشًا، ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرًا لهم. وهو يظن أنه أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم.

وقد توفى الله ﷻ أرواحهم وفاة نوم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم، يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال.

ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك "دقيانوس" يكتمان إيمانهما. اسم أحدهما بيدروس، واسم الآخر روناس، اهتما أن يكتبا شأن هؤلاء الفتية وأسماءهم وأنسابهم وأخبارهم في لوحين من رصاص، ويجعلاهما في تابوت من نحاس، ويجعلا



التابوت في البنيان. وقالا: لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قومًا مؤمنين قبل يوم القيامة. فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب. ففعلا ذلك وبنيا عليه.

وبقي "دقيانوس" ما بقي. ثم مات هو وقومه. وقرون بعده كثيرة. وخلفت الملوك بعد الملوك.

***

وقال عبيد بن عمير: كان أصحاب الكهف فتيانًا مطوقين مسورين ذوي ذوائب، فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب، وأخرجوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها، وكان معهم كلب صيد لهم، وكان أحدهم وزير الملك. فقذف الله سبحانه وتعالى الإيمان في قلوبهم. فآمنوا وأخفى كل واحد إيمانه، وقال في نفسه: أخرج من بين هؤلاء القوم لئلا يصيبني عقاب بجرمهم. فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة فجلس فيه، ثم خرج آخر فرآه جالسًا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره، وجلس إليه من غير أن يظهره على أمره. ثم خرج آخر فخرجوا جميعًا، فاجتمعوا. فقال بعضهم لبعض: ما جمعكم وكل واحد يكتم إيمانه من صاحبه مخافة على نفسه. ثم قالوا: ليخرج كل فتيين فيخلوا ويفشي كل واحد سره إلى صاحبه. ففعلوا ذلك، فإذا هم جميعًا على الإيمان، وإذا الكهف في جبل عظيم قريب منهم. فقال بعضهم لبعض: ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾.

فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد، فناموا ثلاث مائة سنين وازدادو تسعا. وفقدهم قومهم وطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم. فكتبوا أسمائهم وأسابهم في لوح: فلان وفلان وفلان أبناء ملوكنا. فقدناهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان ابن فلان الملك. ووضعوا اللوح في خزانة الملك. وقالوا: ليكون لهؤلاء شأن. ومات ذلك الملك، وجاء قرن بعد قرن.

قال محمد بن إسحاق: ثم مَلَك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس. فلما ملك بقي ملكه ثماني وستين سنة. فتحزّب الناس في ملكه فكانوا أحزابًا، منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق، ومنهم من يكذب بها، فكبر ذلك على الملك الصالح، وتضرع إلى الله وحزن حزنًا شديدًا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق، ويقولون: لا حياة إلى الحياة الدنيا، وإنما تُبعث الأرواح دون الأجساد، وجعل بيدروس الملك يُرسل إلى من يظن فيهم خيرًا، وأنهم أئمة في الخلق، فلم يقبلوا منه. وجعلوا يكذبون بالساعة، حتى كادوا يخرجون الناس من الحق، وماة الحواريين.

فلما رأى ذلك الملك الصالح، دخل بيته وأغلق بابه عليه، ولبس مِسْحا وجعل تحته رمادًا. فجلس عليه. فدأب ليله ونهاره يتضرع إلى الله تعالى ويبكي ويقول: رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه.

ثم إن الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذي يكره هَلَكة عباده أراد أن يظهره على الفتية أصحاب الكهف، ويبين للناس شأنهم، ويجعلهم آية وحجة عليهم؛ ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، ويستجيب لعبده الصالح بيدروس، ويتم نعمته عليه، وأن يجمع من كان تبدد من المؤمنين.

فألقى الله سبحانه وتعالى في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي فيه ذلك الكهف، وكان اسمه أولياس أن يهدم ذلك البنيان، الذي على فم الكهف، ويبني به حظيرة لغنمه، فاستأجر غلامين. فجعل ينزعان تلك الحجارة، ويبنيان بها تلك الحظيرة، حتى نزعا ما كان على باب الكهف، وفتحا باب الكهف وحجبهم الله تعالى عن الناس بالرعب. فلما فتح باب الكهف، أذن الله سبحانه وتعالى ذو القدره والسلطان محي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف، فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم. فسلم بعضهم على بعض. كأنهما استيقظوا من

ساعتهم التي كانوا يستيقظون منها إذا أصبحوا من ليلتهم. ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون، لا يُرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء ينكرونه.

وأنهم كهيئتهم حين رقدوا وهو يرون أن "دقيانوس" في طلبهم. فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم: أنبئنا بما قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار. وهم يظنون أنهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون، وقد خيل إليهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون، حتى تساءلوا بينهم. فقال بعضهم لبعض: كم لبثتم نيامًا؟ قالوا: لبثنا يومًا أو بعض يوم. قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم. وكل ذلك في أنفسهم يسير. فقال لهم "تمليخا": قد التُمستم في المدينة وهو يُريد أن يؤتي بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت أو يقتلكم. فما شاء الله بعد ذلك فعل.

فقال لهم "مكسلمينا": يا إخوتاه اعلموا أنكم ملاقوا الله، فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله. ثم قالوا "لتمليخا": انطلق إلى المدينة فتسمَّع ما يُقال لنابها. وما الذي يذكر فينا عند "دقيانوس"، وتلطف ولا تشعرن بك أحدًا، وابتع لنا طعاما فأتنا به، وزدنا على الطعام الذي جئتنا به؛ فقد أصبحنا جياعًا.

ففعل تمليخا كما كان يفعل، ووضع ثيابه، وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها، وأخذ وَرِقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضُربت بطابع "دقيانوس"، وكانت كخفاف الربع. فانطلق تمليخا خارجًا. فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف؛ فعجب منها. ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفيًا يصدّ عن طريق؛ تخوفًا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه. ولا يشعر أن دقيانوس وأهله هلكوا قبل ذلك بثلاث مائة سنة.

فلما أتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لأهل الإيمان إذ كان أمر الإيمان ظاهرًا فيها. فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها يمينًا وشمالاً. ثم ترك ذلك الباب ومضى إلى باب آخر. فرأى مثل ذلك. فخيل إليه

أن المدينة ليست بالتي كان يعرف، ورأى أشخاصًا كثيرة محدثين لم يكن رآهم قبل ذلك. فجعل يمشي ويتعجب ويخيل إليه أنه حيران. ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه، فجعل يتعجب بينه وبين نفسه، ويقول يا ليت شعري ما هذا. أما عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه المدينة، ويستخفون بها واليوم ظاهرة؟ ألعلي نائم حالم؟ ثم يرى أنه ليس بنائم. فأخذ كساءه فجعله على رأسه. ثم دخل المدينة، فجعل يمشي في أسواقها. فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى ابن مريم، فزاده ذلك تعجبًا، ورأى أنه حيران. فقام مسندًا ظهره إلى جدار من جدران المدينة. وهو يقول في نفسه: والله ما أدري ما هذا. أما عشية أمس فليس كان على الأرض من يذكر عيسى ابن مريم إلا قتل، وأما اليوم فأسمع كل إنسان يذكر عيسى بن مريم لا يخاف.

ثم قال في نفسه: لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف. والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا. فقام كالحيران. ثم لقي فتى فقال له: ما اسم هذه المدينة يا فتى؟ فقال: اسمها أفسوس. فقال في نفسه: لعل بي مَسًّا أو أمرًا أذهب عقلي، والله يحق لي أن أسرع الخروج قبل أن يصيبني فيها شر فأهلك.

فمضى إلى الذين يبتاعون الطعام، فأخرج لهم الورق التي كانت معه وأعطاها رجلاً منهم، وقال له: بعني بهذه الورق طعامًا. فأخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها. فعجب منها. فناولها رجلاً آخر من أصحابه، فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى آخر ويتعجبون منها، ويتشاورون بينهم، ويقول بعضهم لبعض: إن هذا أصاب كنزًا خبيئا في الأرض منذ زمان طويل.

فلما رآهم تمليخا يتحدثون فيه فرق فرقًا شديدًا وخاف، وجعل يرعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه، وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس، وجعل أناس يأتونه ويتعرفونه فلا يعرفونه. فقال لهم: وهو شديد الخوف منهم:

أفضلوا عليّ. قد أخذتم ورقي فأمسكوها، وأما طعامكم فلا حاجة لي به. فقالوا له: يا فتى من أنت؟ وما شأنك؟ والله لقد وجدتَ كترا من كنوز الأولين، وأنت تريد أن تخفيه منا. انطلق معنا وأرنا وشاركنا فيه نخفف عليك ما وجدتَ. وإنك إن لم تفعل نحملك إلى السلطان، فنسلمك إليه فيقتلك. فلما سمع قولهم قال: والله قد وقعتُ في كل شيء. كنتُ أحذر منه. فقالوا له: يا فتى إنك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدتَ. وجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم، وخاف حتى لم يجر على لسانه إليهم شيء.

فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطر حوه في عنقه، وجعلوا يسحبونه في سكك المدينة، حتى سمع به من فيها وقيل: قد أخذ رجل معه كتر، فاجتمع عليه أهل المدينة وجعلوا ينظرون إليه ويقولون: والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة، وما رأيناه فيها قط، وما نعرفه. وجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم، وكان متيقنًا أن أباه وإخوته بالمدينة، وأنه من عظماء أهلها، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا به.

فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيدهم؛ إذ اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومديريها اللذان يدبران أمرهما. وهما رجلان صالحان. اسم أحدهما آريوس واسم الآخر طنطيوس فلما انطلقوا به إليهما ظن تمليخا أنه إنما يُنطلق به إلى دقيانوس الجبار، فجعل يلتفت يمينًا وشمالاً وهو يبكي، والناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون. ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ عليّ اليوم صبرًا، وأولج معي روحًا منك تؤيدني به عند هذا الجبار، وجعل يقول في نفسه: فرقوا بيني وبين إخواتي. يا ليتهم يعلمون ما لقيتُ، ويا ليتهم يأتونني فنقوم جميعا بين يدى هذا الجبار. فإنا قد كنا تواثقنا على الإيمان بالله، وأن لا نشرك به أحد أبدًا، ولا نفترق لا في حياة ولا موت.

فلما انتهى إلى الرجلين الصالحين آريوس وطنطيوس ورأى أنه لم يُذهب به إلى دقيانوس؛ أفاق وذهب عنه البكاء، وأخذ آريوس وطنطيوس الوَرِقة ونظر إليها وعجبا منها. وقالا: أين الكنز الذي وجدتُ يا فتى؟ فقال تمليخا: ما وجدتُ كنزًا، ولكن هذا وَرِق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها. ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم. فقال له أحدهما: ممن أنت؟ فقال تمليخا: أما أنا فكنت أرى أني من أهل هذه المدينة. فقيل له: ومن أبوك؟ ومن يعرفك بها؟

فأخبرهم باسم أبيه. فلم يوجد من يعرفه، ولا أباه. فقال له أحدهما: أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق. فلم يدر تمليخا ما يقول، غير أنه نكث بصره إلى الأرض، فقال بعض من حوله: هذا رجل مجنون، وقال بعضهم: ليس بمجنون ولكنه يحمّق نفسه عمدًا، لكي ينفلت منكم. فقال له أحدهما ونظر إليه نظرًا شديدًا: أتظن أنا نرسلك ونصدقك بأن هذا ما أبيك ونقش هذه المدينة وضَرْبها، وهذه الورقة أكثر من ثلاث مائة سنة وأنت غلام شاب؟ أتظن أنك تأفكنا وتسخر بنا، ونحن شيوخ شُمْط وحَوْلك سراة هذه المدينة وولاة أمرها، وخزائن هذه المدينة بأيدينا، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار. وإنني لأظنني سآمر بك فتعذب عذابًا شديدًا، ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته.

فلما قال ذلك، قال لهم تمليخا: أخبروني عما أسألكم عنه. فإن أنتم فعلتم صدقتكم عما عندي. فقالوا له: سل لا نكتمك شيئًا. قال: فما فعل الملك دقيانوس؟ فقال: ما نعرف على وجه الأرض من اسمه دقيانوس، و لم يكن إلى ملك هلك في الزمان الأول، وله دهر طويل، وهلك بعده قرون كثيرة. فقال تمليخا: إني إذًا لحيران، وما يصدقني أحد من الناس فيما أقول. لقد كنا فتيه على دين الواحد، وأن الملك اكرهنا على عبادة الأصنام والذبح للطواغيت؛ فهربنا منه عشية أمس، فأتينا إلى الكهف الذي في جبل بنجلوس، فنمنا فيه. فلما انتهينا خرجتُ لأشتري

لأصحابي طعامًا وأتجسس الخبار. فإذا أنا معكم كما ترون. فـانطلقوا معـي إلى الكهف أريكم أصحابي.

فلما سمع آريوس قول تمليخا قال: يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها ﷻ لكم على يد هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه حتى يُرينا أصحابه. فانطلق آريوس وطنطيوس، ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف؛ لينظروا إليهم.

فلما رأى الفتية أصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي فيه؛ ظنوا أنه قد أُخذ وذُهب به إلى ملكهم دقيانوس. فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه، إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة؛ فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث بهم إليهم ليُوتى بهم؛ فقاموا إلى الصلاة وسلّم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضًا. وقالوا: انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا، فإنه الآن بين يدي الجبار، وهو ينتظرنا حتى نأتيه.

فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة؛ إذا هم بآريوس وأصحابه وقوفًا على باب الكهف. فسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكي. فلما رأوه يبكي بكوا معه، ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله، فعرفوا أنهم كانوا نيامًا بأمر الله ذلك الزمن الطويل، وإنما أُوقظوا ليكونوا آية للناس، وتصديقا للبعث، وليعلموا أن الساعة لا ريب فيها.

ثم دخل على أثر تمليخا آريوس، فرأى تابوتًا من نحاس مختومًا بخاتم فضة. فوقف على الباب، ودعا جماعة من عظماء أهل المدينة، وأمر بفتح التابوت بحضرتهم. فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبًا فيهما مكسلمينا ومخشلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونس وبيرونس وديموس وبطيوس وقالوس والكلب اسمه قطمير. كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس؛ مخافة أن يفتنهم عن دينهم. فدخلوا

هذا الكهف، فلما أُخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة. وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عُثر بهم.

فلما قرأوه عجبوا وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية تدلهم على البعث. ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه، ثم دخلوا على الفتية الكهف، فوجدوهم جلوسًا مشرقة وجوههم، لم تبل ثيابهم. فخر آريوس وأصحابه سُجدًا لله، وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية من آياته. ثم كل بعضهم بعضًا. وأخبرهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس. ثم إن آريوس وأصحابه بعثوا بريدًا إلى ملكهم الصالح بيدروس أن عجّل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك للناس آية؛ لتكون لهم نورًا وضياءً وتصديقًا للبعث. وذلك أن فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلاثمائة سنة وأكثر.

فلما أتى الملك الخبر رجع عقله إليه وذهب همه وقال: أحمدك الله رب السموات والأرض وأعبدك وأسبح لك، تطولت عليَّ ورحمتي، ولم تطفئ النور الذي جعلته لآبائي وللعبد الصالح بيدروس الملك.

ثم أخبر بذلك أهل مدينته، فركب وركبوا معه حتى أتوا مدينة أفسوس؛ فتلقاهم أهلها وساروا معه نحو الكهف، فلما صعد الجبل ورأى الفتية بيدروس؛ فرح بهم وخر ساجدًا على وجهه. وقام بيدروس الملك قدامهم، ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه.

ثم قال الفتية لبيدروس الملك: نستودعك الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. حفظك الله وحفظ ملكك، ونعيذك بالله من شر الإنس والجن.

فبينما الملك قائم إذا هم رجعوا إلى مضاجعهم. فناموا وتوفَّى الله أنفسهم.

فقام الملك إليهم وجعل ثيابهم عليهم، وأمر أن يُجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب. فلما أمسى ونام أتوه في منامه فقالوا له: إنا لم نُخلق من ذهب

ولا فضة، ولكنا خُلقنا من تراب وإلى التراب نصير. فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه.

فأمر الملك عند ذلك بتابوت من ساج، فجُعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب، ولم يقدر أحد أن يدخل عليهم. وأمر الملك أن يتخذوا على باب الكهف مسجدًا يُصلى فيه، وجعل لهم عيدًا عظيمًا، وأمر أن يؤتى كل سنة.

***

وقيل: إن تمليخا حُمل إلى الملك الصالح. فقال له الملك: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل هذه المدينة. وذكر أنه خرج أمس أو منذ أيام. وذكر منزله وأقوامًا لم يعرفهم أحد. وكان الملك قد سمع أن فتية قد فُقدوا في الزمان الأول، وإن أسماءهم مكتوبة في لوح في خزانته. فدعا باللوح ونظر في أسمائهم فإذا اسمه مكتوب، وذكر أسماء الآخرين. فقال تمليخا: هم أصحابي. فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم، فلما أتو باب الكهف. قال تمليخا دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشرهم، فإنهم إن رأوكم معي أرعبتموهم، فدخل تمليخا فبشرهم؛ فقبض الله روحه وأرواحهم، وأعلى على الملك وأصحابه أثرهم. فلم يهتدوا إليهم فذلك قوله ﷻ: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ أي صاروا إلى الكهف واسمه خيرم. ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي هداية في الدين ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾ أي يسر لنا ﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾ أي ما نلتمس منه رضاك وما فيه رشدنا. وقال ابن عباس: أي مخرجًا من الغار في سلامة.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ أي ألقينا عليهم النوم، وقيل منعنا نفوذ الأصوات إلى مسامعهم. فإن النائم إذا سمع الصوت ينتبه ﴿فِي الْكَهْفِ

سِنِينَ عَدَداً﴾ أي أنمناهم سنين كثيرة فإن العدد يدل على الكثرة ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي من نومهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي علم مشاهدة، وذلك أن الله ﷻ لم يزل عالمًا، وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم، ليزدادوا إيمانًا واعتبارًا ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ أي الطائفتين ﴿أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً﴾ أي أحفظ لما مكثوا في كهفهم نيامًا. وذلك أن أهل المدينة تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي نقرأ عليك خبر أصحاب الكهف بالحق. أي بالصدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ أي شبان ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ أي إيمانًا وبصيرة ﴿ورَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي شددنا على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الإيمان، حتى صبروا على هجران دار قومهم، ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش، وفروا بدينهم إلى الكهف ﴿إِذْ قَامُوا﴾ يعني بين يدي دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام ﴿فَقَالُوا﴾ أي الفتية ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً﴾ إنما قالوا ذلك؛ لأن قومهم كانوا يعبدون الأصنام ﴿لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾ قال ابن عباس: يعني جورًا. وقيل: كذبًا. يعني إنا دعونا غير الله ﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنَا﴾ يعني أهل بلدهم ﴿اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ﴾ أي من دون الله ﴿آلِهَةً﴾ يعني أصنامًا يعبدونها ﴿لَّوْلا﴾ أي هلا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾ أي على عبادة الأصنام ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ أي بحجة واضحة. وفيه تبكيت لأن الإتيان بحجة على عبادة الأصنام محال ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ أي وزعم أنه له شريكًا أو ولدًا.

ثم قال بعضهم لبعض: ﴿وإذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ يعني قومكم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إلاَّ اللَّهَ﴾ وذلك أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الأصنام. والمعنى: وإذا اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون إلا الله، فإنكم لم تعتزلوا عبادته ﴿فَأْوُوا إِلَى الكَهْفِ﴾ أي الجئوا إليه ﴿يَنشُرْ لَكُمْ﴾ أي يبسط لكم ﴿رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ﴾ أي يسهل ﴿لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً﴾ أي ما يعود إليه يسركم ورفقكم.

قول سبحانه وتعالى: ﴿وتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ﴾ أي تميل وتعدل ﴿عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ﴾ أي جانب اليمين ﴿وإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ أي تتركهم وتعدل عنهم ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ وهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي متسع من الكهف ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي من عجائب صنعه ودلالات قدرته. وذلك أن ما كان في ذلك السمت تصيبهم الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة. وقيل: إن باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش، فهم في مقنأة أبدًا لا تقع الشمس عليهم عند الطلوع، ولا عند الغروب، ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها، ولكن اختار الله لهم مضجعًا في متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها، ويدفع عنهم كرب الغار وغمه.

وعلى هذا القول يكون معنى قوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي إن شأنهم وحديثهم من آيات الله ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهْتَدِ﴾ يعني مثل أصحاب الكهف. وفيه ثناء عليهم ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ أي ومن يضلله الله ولم يرشده ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِياً﴾ أي معينا ﴿مُّرْشِداً﴾ أي يرشده.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ خطاب لكل أحد ﴿أَيْقَاظاً﴾ أي منتبهين؛ لأن أعينهم مفتحة ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أي نيام ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ قال ابن عباس: كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب إلى جانب؛ لئلا تأكل الأرض لحومهم. وقيل: كانوا يقبلون في يوم عاشوراء. وقيل: كانوا لهم في السنة تقلبان.

﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ قال ابن عباس كان كلبًا أغر، وعنه أنه كان فوق القلطي ودون الكرزي. والقلطي كلب صيني. وقيل: كان أصفر، وقيل: كان شديد الصفوة يضرب إلى حمرة. وقال ابن عباس: كان اسمه قطمير. وقيل: ريان. وقيل: صهبان. قيل: ليس في الجنة دواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمارة بلعام ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ أي فناء الكهف وقيل عتبة الباب. وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم. قيل: كان ينقلب مع أصحابه، فإذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ورقد عليها، وإذا انقلبوا ذات الشمال كسر أذنه اليسرى ورقد عليها ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يا محمد ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً﴾ وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة؛ حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله، فيوقظهم الله من رقدتهم ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾ أي خوفًا من وحشة المكان.

وقيل: لأن أعينهم مفتحة كالمتيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام. وقيل: لكثرة شعورهم وطول أظفارهم، ولتقلبهم من غير حس ولا إشعار. وقيل: إن الله سبحانه وتعالى منعهم بالرعب؛ لئلا يراهم أحد.

قال ابن عباس: غزونا مع معاوية نحو الروم. فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف. فقال معاوية: لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا إليهم. فقال

ابن عباس: قد منع ذلك من هو خير منك. فقيل له: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً﴾ فبعث معاوية ناسًا فقال اذهبوا فانظروا. فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحًا فأحرقتهم.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ يعني كما أنمناهم في الكهف، وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان، بعثناهم من النومة التي تشبه الموت ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ أي ليسأل بعضهم بعضًا ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ أي في نومكم؟ وذلك أنهم استنكروا طول نومهم. وقيل: إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً﴾ هم نظروا فوجدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ فلما نظروا إلى طول شعورهم وأظفارهم؛ علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾.

وقيل إن مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال: دعوا الاختلاف. ربكم أعلم بما لبثتم ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم﴾ يعني تمليخا ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ﴿هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ قيل: هي ترسوس. وكان اسمها في الزمن الأول قبل الإسلام أفسوس ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً﴾ أي أحل طعامًا. وقيل أمروه أن يطلب ذبيحة كل مؤمن، ولا تكون من ذبح من يذبح لغير الله. وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم. وقيل: أطيب طعامًا وأجود. وقيل: أكثر طعامًا وأرخصه ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ أي قوت وطعام تأكلونه ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي

وليترفق في الطرق وفي المدينة، وليكن في ستر وكتمان ﴿ولا يُشْعِرَنَّ﴾ أي ولا يعلمن ﴿بِكُمْ أَحَداً﴾ أي من الناس ﴿إِنَّهُمْ إن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي يعلموا مكانكم ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ قيل معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول. وقيل: يقتلوكم. وكان من عادهم القتل بالحجارة. وهو أخبث القتل. وقيل: يعذبوكم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ أي الكفر ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾ أي إن عدتم إليه.

قوله ﷻ: ﴿وكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي أطلعنا الناس عليهم ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني قوم بيدروس الذين أنكروا البعث ﴿وأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي لا شك فيها أنها آتية ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾. قال ابن عباس: في البنيان. فقال المسلمون: نبني عليهم مسجدًا يصلي فيه الناس؛ لأنهم على ديننا وقال المشركون: نبني بنيانًا؛ لأنهم على ملتنا. وقيل: كان تنازعهم في البعث. فقال المسلمون: تُبعث الأجساد والأرواح. وقال قوم: تبعث الأرواح. فأراهم الله آية، وأن البعث للأرواح والأجساد. وقيل تنازعوا في مدة لبثهم، وقيل في عددهم ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ يعني بيدروس وأصحابه ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾.

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ﴾ روى أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبي ﷺ، فجرى ذكر أصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبيا: كانوا ثلاثة رابعهم ﴿كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ أي وقال العاقب – وكان نسطوريًا –: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ﴾ وقال

المسلمون: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فحقق الله قول المسلمين، وإنما عرفوا ذلك بأخبار رسول الله ﷺ على لسان جبريل ﷺ بعد ما حكى قول النصارى أولاً، ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى ﴿رَجْماً بِالْغَيْبِ﴾ أي ظنًا وحدسًا من غير يقين، ولم يقل ذلك في السبعة. وتخصيص الشيء بالوصف يدل على أن الحال في الباقي بخلافه؛ فوجب أن يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى، وأن يكون قول المسلمين مخالفًا لقول النصارى في كونه رجمًا بالغيب وظنًا.

ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ هذا هو الحق؛ لأن العلم بتفاصيل العوالم والكائنات فيه في الماضي والمستقبل لا يكون إلا لله تعالى أو من أخبره الله سبحانه وتعالى بذلك.

قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: أنا من أولئك القليل. كانوا سبعة وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وبينونس وسارينوس ودنوانس وكشفيططنونس وهو الراعي، واسم كلبهم قطمير. ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ أي لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم ﴿إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً﴾ أي إلا بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه ﴿وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾ أي في أصحاب الكهف ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي من أهل الكتاب ﴿أَحَداً﴾ أي لا ترجع إلى قول أحد منهم بعد أن أخبرناك قصتهم.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يعني إذا عزمت على فعل شيء غدًا فقل إن شاء الله، ولا تقله بغير استثناء. وذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ عن الروح، وعن أصحاب

الكهف، وعن ذي القرنين. فقال: أخبركم غدًا. و لم يقل إن شاء الله. فلبث الوحي أيامًا، ثم نزلت هذه الآية. وقد تقدمت القصة في سورة بني إسرائيل.

﴿واذْكُر رَّبَّكَ إذَا نَسِيتَ﴾ قال ابن عباس معناه: إذا نسيت الاستثناء. ثم ذكرت، فاستثن. وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع، وإن كان بعد سنة، وجوزه الحسن ما دام في المجلس، وجوزه بعضهم إذا قرب الزمان فإن بعد لم يصلح، و لم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلاً بالاستثناء.

وقيل في معنى الآية: واذكر ربك إذا غضبت. قال وهب: مكتوب في التوراة والإنجيل: "ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب" وقيل: الآية في الصلاة يدل عليه ما روى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "من نسي صلاة فليصلها إذ ذكرها" قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ متفق عليه. زاد مسلم "أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها".

﴿قُلْ عَسَى أن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً﴾ أي يثبتني على طريق هو أقرب إليه وأرشد. وقيل: إن الله سبحانه وتعالى أمره أن يذكره إذا نسي شيئًا، ويسأله أن يذكره أو يهديه لما هو خير له من أن يذكر ما نسي. وقيل: إن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله سبحانه وتعالى أن يخبرهم أن الله سبحانه وتعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف. وقد فعل حيث آتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم ما هو أوضح وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف. وقيل: هذا شيء أمره الله أن يقوله مع قوله: إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان، وإذا نسي الإنسان قوله إن شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول مع قوله إن شاء الله: عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا.

قوله ﷻ: ﴿ولَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وازْدَادُوا تِسْعاً﴾ قيل: هذا خبر عن قول أهل الكتاب. ولو كان خبرًا من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ وجه ولكن الله رد قولهم بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ والأصح أنه إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف ويكون معنى قوله ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ يعني إن نازعوك في مدة لبثهم في الكهف فقل أنت: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ أي هو أعلم منكم. وقد أخبر بمدة لبثهم.

وقيل: إن أهل الكتاب قالوا إن المدة من حين دخلوا الكهف إلى يومنا هذا، وهو اجتماعهم بالنبي ﷺ ثلاثمائة وتسع سنين. فرد الله عليهم بذلك، وقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ يعني بعد قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله.

فإن قلت: لم قال سنين و لم يقل سنة؟ قلت: قيل لما نزل قوله سبحانه وتعالى ﴿ولَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ﴾ فقالوا: أيامًا أو شهورًا أو سنين؟ فنزلت سنين على وفق قولهم. وقيل هو تفسير لما أجمل في قوله ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً﴾ - ﴿وازْدَادُوا تِسْعاً﴾ وقيل: قالت نصارى نجران: أما ثلاثمائة فقد عرفناها، وأما التسع فلا علم لنا بها. فنزلت ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ وقيل: إن عند أهل الكتاب لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية. والله سبحانه وتعالى ذكر ثلاثمائة سنة وتسع سنين قمرية. والتفاوت بين القمرية والشمسية في كل مائة سنة ثلاث سنين؛ فتكون الثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع سنين قمرية.

﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يعني أنه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أحوال أهلها فإنه العالم وحده، فكيف يخفى عليه حال أصحاب الكهف ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ معناه: ما أبصر الله بكل موجود، وأسمعه بكل مسموع؛ لا يغيب عن سمعه وبصره شيء، يدرك البواطن كما يدرك الظواهر، والقريب والبعيد والمحجوب وغيره، لا تخفى عليه خافيه ﴿مَا لَهُم﴾ أي ما لأهل السموات والأرض ﴿مِّن دُونِهِ﴾ أي من دون الله ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ أي ناصر ﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ قيل: معناه لا يشرك الله في علم غيبه أحدًا. وقيل: في قضائه.

* * *
* *
*


THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT


الفصل الثاني
في
فتية أهل الكهف
في
معتقدات وشعائر المسيحيين

أ ــ كتب البطريك[٥] مار[٦] أغناطيوس زكا الأول بطريرك السريان الأرثوذكس[٧] في كتابه **"أهل الكهف في المصادر السريانية"** ص ٣٦ — ٣٧: في خاتمة القصة السريانية نقرأ ما يلي:

(وأقر مجمع من الأساقفة عيد عظيمًا لهؤلاء المعترفين[٨]) ولعل هذا المجمع كان خاص محليًا لا عامًا، **ولكننا نرى الكنائس الشرقية[٩] على اختلاف مذاهبها تحتفل بعيدهم.**

---

(٥) البطريرك: رئيس الآباء، وهو رئيس رؤساء الأساقفة. يخفف فيقول بطْرك. والجمع بطارقة وبطاريك، والأول هو المألوف. والاسم البطريكية، والبطركية. (وهي كلمة أصلها يونانية). (اللؤلؤ المنثور).

(٦) مار: لقب سرياني بمعنى السيد. ويطلق على القديسين والبطاركة والأساقفة. (اللؤلؤ المنثور).

(٧) الأرثوذكس (Orthodox): لقب أطلق على الكنائس في القرون المسيحية الأولى. وتستعمل في أيامنا على الكنائس الشرقية غير المتحدة بروما. كلمة يونانية معناها (مستقيم الرأي)، كلمة تطلق على الفكر اللاهوتي الموافق لتعاليم الرسل. (معجم الإيمان المسيحي. . . .)، ويقصد بالرسل هنا هم الحواريون تلاميذ المسيح (المؤلف).

(٨) المعترف: هو من اضطهد في سبيل الدين و لم يستشهد. (من حاشية الكتاب المشار إليه).

(٩) الكنائس الشرقية: كنائس أرثوذكسية ليست بالكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

فقد ورد عيد في الكلندار[10]– أي التقويم– **السرياني القديم في**: ٢٤ تشرين الأول (أكتوبر).

ولد الكلدان في: ٤ تشرين الأول (أكتوبر) **عيد الفتيان الثمانية الذين من افسس**.

كما ورد تذكارهم لدى للروم الأرثوذكس في: ٤ آب (أغسطس). وفي: ٢٢ تشرين الأول **تذكار الفتيان القديسين السبعة الذين كانوا في أفسس**.

ولد الموارنة في ٧ آذار (مارس) **عيد الفتية السبعة من أفسس**.

وحيث أن الكنيسة السريانية جرت على أن تخصص طقسًا[11] **خاصًا بمناسبة أعياد قديسيها تحتفل به في أعيادهم، لذلك عثرنا على طقس عيد أهل الكهف** ودرسناه فرأينا أنه يسرد تفاصيل القصة كما وردت في **التقليد**[12] **السرياني**. مظهرًا تمسك الفتيان السبعة بإيمانهم، وكيفية هروبهم خوفًا من داقيوس في شهر آذار، إلى كهف في جبل بقرب أفسس، ورقادهم مدة (٣٥٠ سنة) واستيقاظهم. ويدعوهم الطقس بالشهداء.

ب– وكتب القس[13]/ يوسف تادرس الحومي، في كتابه **"سيرة أهل الكهف بين المصادر السريانية والرواية القبطية"**، ص ٢٩– ٣١ ما يلي:

نجد قصة أهل الكهف معروفة لدى جميع الكنائس الشرقية تقريبًا، وغالبيتها رتبت لهم أيامًا لذكراهم، والبعض وضع لهم طقسًا خاصًا في هذا اليوم (. . .).

---

(10) الكلندار: لائحة الفصول والشهور والأيام وأعياد السنة. (كلمة مشتقة من اليونانية).

(11) الطقس: في العرف الكنسي يطلق على شعائر الديانة وحفلاتها. والجمع طقوس. (اللؤلؤ المنثور. . .).

(12) التقليد: يراد به في العرف الديني ما اتفق عليه في فروض العبادة، أو اللغة. (اللؤلؤ المنثور. . .).

(13) القس، وقسيس: بفتح القاف، شيخ. وهو الذي يقلد خدمة الكهنوت في الكنيسة المسيحية. جمع الأول قُسوس وقسان. وجمع الثاني قُسيسون. والاسم القسيسية. (اللؤلؤ المنثور. . .).

واعتبروا في الكنيسة القبطية الإسكندرانية، لهم عيد تحتفل به الكنيسة وتتلى سيرتهم في كل الكنائس وذلك يوم ٢٠ مسرى القبطي الذي يوافق ٢٦ آب (أغسطس) ويذكر فيها أنهم نالوا إكليل الشهادة.

كما أنا وجدنا لحنًا خاصًا (طرحًا) باللغة القبطية يقال في عيدهم يوم ٢٠ مسرى ورد في مخطوطة طروحات القديسين رقم ٣١٦ بالمتحف القبطي بالقاهرة (. . .) وفيها يقال: في ذلك الزمان كان داكيوس مالكًا عندما بدأ يضطهد المسيحيين. أطلبوا من الرب عنا أيها السبعة فتية القديسون أصحاب كهف الجبل ليغفر لنا خطايانا.

***

ج- ومن كتاب (**الكنز الثمين في أخبار القديسين**)، تأليف السيد/ مكسيموس مظلوم بطريرك طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين[١٤]، المجلد الأول، أورد في تذكار يوم ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ص ٢٧٨- ٢٧٩ وكتب ما يلي:

أولاً: إن هؤلاء القديسين الشهداء السبعة الأفسسيين قد كانوا إخوة بالجسد.

وقد كرمتهم الكنيسة الجامعة كشهداء حقيقيين، وتحت هذه الصفة الشريفة يُمدحون في الخدم التي تقال في الفرض يوم تذكار اشتشهادهم الحاضر، ثم يمدحون في اليوم الرابع من شهر آب المختص بتذكار الأعجوبة، التي بواسطتها قد ظهرت أجسادهم المقدسة في المغارة القريبة من مدينة أفسس.

ثانيا: ثم فليضف إلى ذلك أن الكنسية الجامعة كلها، أي ليس كنيستنا اليونانية فقط، بل الكنيسة اللاتينية أيضًا التي تصنع تذكار هؤلاء السبعة الشهداء الجدد. في اليوم السابع والعشرون من شهر تموز قد كرمتهم عمومًا بتسمية شهداء

(١٤) كثلكة (Catholicisme) مذهب الكاثوليك: جماعة المسيحيين المتحدين إيمانًا وطاعة بكنيسة روما. (معجم الإيمان المسيحي. . .).

حقيقيين، قد ماتوا من أجل المسيح، وليس ناموا نومًا طبيعيًا بسيطًا الذي لا يسمى استشهادًا.

***

د- ومن كتاب (صلاة المؤمن)[١٥] بحسب السنة الطقسية المارونية، ترتيب وتنسيق الخوري بطرس الجميل- سنكسار الطائفة المارونية – نقرأ في الجزء الثالث ص٩٤٩:

٢٢ تشرين الأول (أكتوبر): تذكار شهداء الكهف السبعة، هي أسطورة تقول: إن سبعة رجال مؤمنين من أفسس دخلوا مغارة، وسد عليهم الجند الباب فماتوا جوعًا ثم وجدوا أحياء من بعد مائة سنة.

***

هـــ- والأب يوسف درة الحداد[١٦] في كتابه القرآن والكتاب- جزء (أطوار الدعوة القرآنية- الذي فيه يقارن بين آيات القرآن الكريم، وما يناظرها من الكتاب المقدس؛ كتب في صفحة٥٩٠ أن: قصة أهل الكهف؛ قصة نصرانية أسطورية، نقلها كتبة النصرانية لتمجيد الشهداء وانتصار المسيحية على الوثنية.

([15]) منشورات المطبعة الكاثوليكية – بيروت.

([16]) للأب/ يوسف الحداد مجموعة مؤلفات مقسمة تحت ثلاث سلاسل:

١- سلسلة دروس قرآنية، وكتبها: الإنجيل في القرآن، القرآن والكتاب (في جزئين الأول: بيئة القرآن الكتابية، والثاني: أطوار الدعوة القرآنية) نظم القرآن والكتاب (في جزئين الأول: إعجاز القرآن، والثاني: معجزة القرآن).

٢- سلسلة في سبيل الحوار الإسلامي المسيحي، وكتبها: مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي، القرآن دعوة (نصرانية)، القرآن والمسيحية، أسرار القرآن، المسيح ومحمد في عرف القرآن، سيرة محمد وسره. =

= ٣- سلسلة دراسات إنجيلية (مصادر الوحي الإنجيلي) وكتبها: الدفاع عن المسيحية، فلسفة المسيحية، صوفية المسيحية، المسيح في الإنجيل، إنجيل بولس، سيرة المسيح وسره، دروس إنجيلية، الدفاع عن المسيحية من تاريخها وتعليمها.

كما تشير الآية التاسعة من سورة الكهف ﴿أمْ حَسِبْتَ أنَّ أصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾؟

وكتب:

- وقد نقلها يعقوب السروجي في عظة من عظاته (قابل المخطوطات الفاتيكانية صفحة ١١٥- ١١٧).

- وغريغوريورس البرجي في كتابه (مجد الشهداء صفحة ٩٥) ويذكر أنها وقعت في أيام اضطهاد القيصر داسيوس (٢٤٩- ٢٥١ م).

- وقد استغلت جميع الطوائف المسيحية القصة دليلاً على القيامة، كما نجدها عند المتكلم النسطوري باباي الكبير (قابل مجموعة الآباء الشرقيين ١: ١٩١).

* * *
* *
*




الفصل الثالث

في

من هم السريان؟

وما هو موقعهم من الفكر المسيحي؟

كتب الأستاذ/ سمير عبده في كتابه[١٧] (**السريان قديمًا وحديثًا**) ص ١٩؛ نقلاً عن كتاب[١٨] د/نجيب ميخائيل (مصر والشرق الأدنى القديم):

(وحيث أن السريان ينسبون إلى الآراميين، فإن هؤلاء كانوا شعبًا ساميًا خرج من شبه جزيرة العرب "في فترات من القحط بالغة الخطورة، ثم اندفع نحو الشمال، وحلّ في سوريا-وفلسطين، واستقر فيها نحو سنة ١٥٠٠ق. م غير أنهم لم يكتسبوا اسمهم (الآراميين) حتى أيام تجلات بيلاصر الأول نحو ١١٠٠ق. م، حين أقاموا في منطقة الفرات الأوسط حتى في الغرب").

وكتب في ص ٣٧:

(قبل مجيء المسيحية كانت الوثنية واليهودية منتشرتين في المنطقة، وكان الروم والفرس يحكمانها، فلما أتت المسيحية جابهت مقاومة عنيفة من الحكومة الرومانية، وكان بعض الشعب الوثني يرمي المسيحيين بأبشع التهم وأفظعها.

---

(١٧) كتاب (السريان قديمًا وحديثًا) بحث من بحوث المعهد الملكي للدراسات الدينية بعمان- الأردن. والناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع (الأردن) عام ١٩٩٧م.

(١٨) كتاب (مصر والشرق الأدنى) جزء ٣، ص ٢٣٣، دار المعارف بمصر ١٩٥٩م.

ولما اعتنق الآراميون الديانة المسيحية اتخذوا بالمعمودية اسم السريان، وصاروا يسمون بلادهم سوريا، ولغتهم السريانية؛ لكي يمتازوا عمن حافظ على وثنيته من بني جنسهم، فكانت لفظة سرياني مرادفة للفظة مسيحي، وذلك لأن كلمة آرامي كانت في الأدب اليهودي مرادفة لكلمة (وثني).

ومن خلال اللغة السريانية نزل جانب من الكتاب المقدس من الله على قلوب أوليائه، ذلك أن معظم نبوة دانيال، وجزءاً من سفر عَزرا وسفر نَحَمْيا، وغير ذلك من العهد القديم كتب في الأصل باللغة السريانية، ويرجح أن إنجيل متى وغيره من أسفار العهد الجديد كتبت في الأصل بهذه اللغة، ثم إن يسوع المسيح وأمه العذراء ورسله الأطها تكلموا بها كما تقدم القول؛ إذ أنها لغة فلسطين المحكية في ذلك العهد[19].

***

الكنيسة السرياتية:

وكتب الأستاذ/ سمير عبده في كتابه (السريان قديمًا وحديثًا) ص ٣٨-٤٠:

(إن الكنيسة السريانية الأرثوذكسية هي كنيسة إنطاكيـة، تأسست في فجر المسيحية، يوم كانت إنطاكية عاصمة سوريا[20]، وإحدى العواصم الثلاث في الدولة الرومانية، وفيها تنصر اليهود والوثنيون من آراميين ويونان وعرب. كما نشر فيها الرسول بطرس تعاليم الإنجيل، واتخذوها مقر الكرسي الرسولي سنة ٣٧م على الأرجح، كما أن أتباع يسوع المسيح سموا مسيحيين لأول مرة في إنطاكية[21].

---

(19) نقلاً من كتاب (الكنز في قواعد اللغة العربية)، لحسن حسين، طبع القاهرة، ص ٢٥.

(20) كتاب (تاريخ كنيسة مدينة الله العظمى إنطاكية). د/ أسد رستم. ج ١- بيروت ١٩٥٨، ص١٤.

(21) كتاب (كنيسة إنطاكية السريانية عبر العصور). للبطريك زكا الأول عيواص. حلب ١٩٥٨، ص٣٠.

تعتقد الكنيسة السريانية مثل كيرلس الاسكندري، وبحسب معطيات مجمع أفس الأول المنعقد عام ٤٣١م بطبيعة واحدة ليسوع المسيح بعد الاتحاد العجيب بدون اختلاط وامتزاج أو استمالة، وبأقنوم[٢٢] واحد مركب من أقنومين.

وتشجب تعاليم نسطور[٢٣]، والمنوفيستية[٢٤]، وأوطيخا، والخلقيدونية.

وقد تم صراع عنيف بين هذه الكنيسة ومن انشق عنها من قوى نسطورية والخلقيدونية في الفترة الواقعة من عام ٤٢٥ إلى ٥١٢م.

السريان وحكم الإسلام:

وكتب الأستاذ/ سمير عبده في كتابه (السريان قديمًا وحديثًا) في ص ٤١:

(اتسم رد فعل المسيحية على ظهور الإسلام باللين والاستلطاف، ولم تظهر بها مقاومة مسيحية مسلحة في شبه الجزيرة العربية، في وجه نشر الدين الإسلامي، ومن هنا سمي السريان عمر بن الخطاب بلسانهم السرياني (فوروقو) فاروق، مخلص ومنقذ؛ لأنه أنقذ السريان من حكم الروم والفرس، كما شملهم الإسلام بالأمان، وصان حقوقهم بالعهود والمواثيق.

---

(٢٢) أقنوم Hypostase: بهذه الكلمة، أو بكلمة (شخص) تترجم كلمة (هيبطاسيس) اليونانية الدّالة على الجوهر، أي ما يجعل الإنسان أن يكون ما هو. فنقول إن الله واحد في ثلاثة أقانيم (أو أشخاص)، ونقول: إن يسوع المسيح أقنوم واحد (أو شخص إلهي واحد) في لاهوته وناسوته. (من معجم الإيمان المسيحي).

(٢٣) النسطورية: مذهب أسسه نسطور، وينكر فيه على مريم العذراء لقب (أم الإله). بل يعتبرها أم المسيح الإنسان. المسيح في المذهب النسطوري مجرد إنسان خلقته الكلمة الإلهية. وعلى أثر انشقاق حدث عام ١٥٥٢م. تشعبت النسطورية إلى شعبين: واحدة كلدانية نسطورية. والأخرى أشورية نسطورية. (من حاشية في الكتاب الأصلي).

(٢٤) المنوفيستية: قام هذا المذهب في القرن الخامس الميلادي كرد فعل ضد النسطورية، ويؤمن بأن للمسيح طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهية وحدها، وينكر من ثم الطبيعة البشرية على يسوع المسيح، (من حاشية في الكتاب الأصلي).




وقد كانت علاقة الرسول العربي مع النصارى جيدة، ولم يذكر التاريخ أي حادث فيه عداء، وهذا عكس ما ذكر عن تصرفات اليهود ضد الرسول، ومحاولات قتله. وفي هذا السياق نراه حين تعرض أتباعه للاضطهاد من قريش نصحهم بالذهاب إلى نصارى الحبشة الذين أكرموهم، وقد كانوا على المذهب اليعقوبي، ويتبعون الإسكندرية).

* * *
* *
*

الفصل الرابع
في
قصة أهل الكهف
في
المصادر السريانية

ملاحظة:

هذا النص منقول عن المصدرين التاليين لقصة أهل الكهف:

الأول: تعريب النص النثري لقصة أهل الكهف في المصادر السريانية. ترجمها نيافة الحبر الجليل مارسويريوس زكاعيواز- مطـران الموصـل. نشـر في المجلـة البطريركية- مجلة تصدرها بطريركية إنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس في دمشق. في عدديها ٦٦، ٦٧ عـام ١٩٦٩ (ص ٣٠٠، ٣٠٧)، (ص ٣٤٧، ٣٥٥).

والثاني: كتاب عن أهل الكهف في المصادر السريانية. . للبطريـرك مـار اغناطيوس زكا الأول بطريرك إنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثـوذكس.

وقد نشرها في مجلة مجمع اللغة السريانية، المجلـد الأول ١٩٧٥ (١٠٣، ١٢٦).

والكتاب صدر في حلب ١٥ تشرين الأول ١٩٨٠. . ضمن دراسات سريانية. . سلسلة يصدرها المطران/ يوحنا مطرانية السريان الأرثوذكس بحلب (سوريا).

(تمت الملاحظة)

داقيوس[٢٥] والوثنية:

عندما ملك داقيوس الأثيم، جاء من قرطاجنة إلى بيزنطيا[٢٦] وأفسس[٢٧]، واستولى على الكنائس كلها، فتفرقت جموع المؤمنين خوفًا منه، وهرب الكهنة

([25]) داقيوس (Decius) (٢٤٩- ٢٥١م): تولى داقيوس مملكة الرومان سنة٢٤٩م، وقد أثار اضطهادًا عنيفًا ضد المسيحيين لبغضه سلفه القيصر فيليبس العربي المحسن إليهم. فأصدر سنة ٢٥٠م مرسومًا يأمر فيه باستئصال شأفة المسيحيين، وجعل السلطة المركزية في الدولة تأخذ على عاتقها إرغام المسيحيين على ترك دينهم، وتقديم البخور والخمور للآلهة، وقضى المرسوم الذي وصف بالمخيف المرعب، بتعذيب المسيحيين إن لم يعبدوا الأوثان؛ فاستشهد العديد من رؤساء الكنيسة منهم فابيانوس أسقف روما، وبابولا أسقف إنطاكية، والكسندروس أسقف أورشليم. وهرب ديونيسيوس أسقف الإسكندرية إلى البرية. كما استشهد آلاف مؤلفة من المؤمنين وشرد الآخرون من أمام وجه الطاغية. ولم تطل هذه الشدة إذ قتل داقيوس سنة ٢٥١م وهو يحارب الغوط والبلقان عند مصب الدانوب. وبهلاكه خمدت شوكة الاضطهاد. من كتاب أهل الكهف في المصادر السريانية ص ٢٠م.

([26]) بيزنطيا (Byzace): مدينة قديمة أسسها الإغريق على ضفتي البوسفور في القرن السابع قبل الميلاد، جعلها الملك قسطنين من عواصم الإمبراطورية الرومانية بعد أن أسماها باسمه القسطنطينية سنة ٣٣٠م. فتحها العثمانيون سنة ١٤٥٣م، وسُميت إستنبول. من كتاب أهل الكهف في المصادر السريانية ص ٣٨.

([27]) أفسس (Ephesus): مدينة إغريقية قديمة تقع على الشاطئ الغربي من آسيا الصغرى، اشتهرت قبل الميلاد بمينائها وتجارتها الرائجة، وهيكل أرطاميس، بشرها بالدين المسيحي الرسول بولس سنة ٥٤م وتلمذ أهلها. كتب إليها رسالة سنة ٦١م. وأصبحت المدينة فيما بعد، أحد مراكز المسيحية المهمة. عُقد فيها المجمع المسكوني الثالث (الذي حرم نسطور وبدعته) سنة ٤٣١م.

انحسر عنها البحر فزال مجدها الاقتصادي ولم يبق فيها اليوم سوى الأنقاض. وبقربها بلدة تركية أيضًا اسمها أيا سلوك، يقصدها السياح لمشاهدة ما شخص من آثارها الوثنية والمسيحية، خاصة شوارع أفسس القديمة، وهيكل أرطاميس، وكاتدرائية ماريو حنا اللاهوتي، ومدافن أهل الكهف.

بلدة أيا سلوك (Ayassoluk): بلدة صغيرة تقع إلى الشمال الشرقي من أطلال أفسس على مسافة ميل منها وكلمة أيا سلوق تحريف لاسم كنيسة فيها (Ayos Yahannas Theogos) أي القديس يوحنا اللاهوتي. وهذا كان اسم الكاتدرائية العظيمة التي بنيت في مطلع القرن السادس للميلاد في أيام يوستنيانس الأول. (مجلة الأبحاث البيروتية ١٩٤٨ السنة ١ ج٣ ص ٦٩).

والأعوة فزعًا، وازداد طغيانه عند دخوله إلى مدينة أفسس، فشـيد في وسـطها مذابح للأصنام معتزًا بالوثنية، وأصدر أمره إلى أشراف المدينـة بنحـر المـذابح للأوثان، وكان يطلي بدمها أجسادهم، فانصاعت له جموع غفيرة كانت تتقاطر يوميًا من كل فج عميق، قاصدة مركز أفسس المدينة التي أضحت غيوم دخـان المحرقات المتصاعدة منها تتلبد في سمائها فتخيم عليها بدكنة من الظـلام الفـاحم تحجب عن الأنظار الأسوار المحاطة بها.

اضطرب المؤمنون من رؤية هذا المحفل المظلم، واستولى عليهم القلق الشديد والحزن العميق، وذلوا وتواروا عن الأنظار خافضي الـروح الجنـاح، وأخفـوا وجوههم بحجب خوفًا من المضطهدين. ومما زاد في الطين بلة والطنبور رنـة، أن الملك أسرع في إصدار أمره في اليوم الثالث، من بدء المحفل، بإلقاء القبض علـى المسيحيين. فاستعان الجند بالوثنيين واليهود الذين رافقوهم، فأخرجوا المؤمنين من الخبايا والملاجئ وجروهم إلى حيث كان الملك مجتمعًا مع الشعب لتقديم الذبائح. فالذين هلعت قلوبهم وفزعت من شدة العذاب ورهبة ظـلال المـوت، زلقـت أقدامهم عن الحق؛ فهووا من علياء حياة الإيمان المجيدة إلى هوة النكران، وخارت عزائمهم سريعًا، فقدموا الذبائح على مرأى من كل إنسان.

أما المؤمنون ففي الوقت الذي حزنتهم أخبار سقوط أخوتهم، وملأت الكآبة قلوبهم لخسارة أرواح الجبناء، كانوا في سبيل الإيمان بالمسيح، يجابهون آلام الزمن العصيب القاسي بفائق شجاعة، ثابتين على صخرة الحق غير متزعزعين.

وقد ذكرها ابن بطوطة في رحلته، ومما قاله فيها: ". . . وسرنا إلى مدينة أيا سلوق، مدينة كبيرة قديمة معظمة عند الروم، وفيها كنيسة كبيرة مبنية بالحجارة الفخمة، ويكون طول الحجر منها عشرة أذرع فيما دونها، منحوتة أبدع نحت. . . ". رحلة ابن بطوطة. طبعة صادر في بيروت سنة ١٩٦٤ ص ٣٠٣ من كتاب أهل الكهف في المصادر السريانية ص (٢٧ - ٢٨).



فكانت سهام إبليس المتقدة تتكسر على أجسامهم كأنها على درع منيع، وهم يجابهون الضيقات والشدائد بتجلد متين، وصبر جميل. وكانت أجزاء من أجسادهم البهية، تُلقى نفايات على الأرض على ما يزعمون. وأعضاؤهم الطاهرة تتقطع وتعلّق على البروج ومرتفعات الأسوار، وهاماتهم الكريمة تعرض على دعائم خشبية نصبت على كل باب من أبواب المدينة. وكانت الغربان واضرابها من النسور والعقبان وسائر الجوارح تجتمع على جثث القديسين وارفتتهم وتتغذى بها، وتحمل بضعًا منها وهي طائرة في سماء المدينة. فكان الحزن الجسيم يحز في نفوس المؤمنين الغيارى على هذه الأرفتة الطاهرة.

واستحوذ الخوف عليهم وتملكهم الفزع والهلع. يا للجهاد العجيب الذي يُرعب قلب من يشاهده. يا للصراع المدهش الذي حير الملائكة والبشر معًا. ألا إن أسس المباني والصروح الشامخة شكت متزلزلة مولولة من الكوارث العظمى التي حدثت في داخلها. وسقوف الدور ندبت وتجلدت، وكادت تهوى أرضًا من هول قعقعة الآلام الشديدة التي اصطدمت بها. وكانت أسواق المدينة كئيبة وهي تندب سحل جثث المسيحيين عليها. وكانت الدموع الغزيرة تنهمر من مآقي المؤمنين حزنًا وأسى، وهم يشاهدون أجساد أحبائهم تنقض عليها الجوارح الكواسر بمختلف أجناسها. ألا يحق للأسوار أن تميد وتكاد تسقط من قوة أجساد القديسين المجمعة المكومة فوقها؟ أو في النفوس البشرية البرة حزن يضاهي هذا الحزن، وهل من كآبة أعظم من هذه الكآبة؟ يا للعجب العجاب حتى المؤمنين، إذا ما التجأ أحدهم إلى رفيقه مستغيثًا، عله يخلص من أيدي الطغاة، لا يلقى حمى. فقد أنكر الآباء الأبناء وتنكر الأنباء للآباء، وتحاشى الأصدقاء لقاء أصدقائهم لشدة الضيق المحدق بهم جميعًا. واعترف بالإيمان بالمسيح المؤمنون الحقيقيون،

فثبتوا صابرين على الشدائد غير مبالين بالتجربة القاسية، فتمجد اسم الرب بسببهم.

***

مكسيمليانوس ورفاقه:

وكان مكسيمليانوس ويمليخا ومرتيلوس وديونيسيوس ويوانس وسرافيون وقسطنطينوس وأنطونينوس ثابتين على صخرة الإيمان بابن الله. وحاملين سمة صليبه المقدس في أجسادهم، وهم يشاهدون يوميًا ماجريات[٢٨] الأمور المحزنة، ويتنهدون متألمين، فكمدت سيماؤهم، وتغضنت مناظرهم حزنًا وأسى، وخبا نور بهاء طلعتهم، وذبل منظرهم، وهم يواصلون السهر والصلاة ومناجاة الله بالطلبات. وإذ كانوا رؤساء مشهورين في المدينة ويلازمون البلاط الملكي، فعندما كان الملك والجموع يضحون الأضاحي للأصنام كانوا هم يدخلون قاعة المكتبة خلسة، ويخرون على وجوههم أمام الله، ويمرغون رؤوسهم بالتراب بتضرعات وبكاء. وتفقدهم رفاقهم أعداء الحق. فلم يشاهدوهم بينهم أمام الأصنام. وعندما دخلوا القصر عثروا عليهم راكعين على الأرض يصلون بدموع سخينة فوشوا بهم لدى الملك الطاغية قائلين: أيها الملك العظيم، في الوقت الذي تدعو جلالتك القاصين ليقدموا الذبائح للآلهة، هو ذا الأدنون يستخفون بأوامر جلالتك ويخدعون جندك، ويقيمون شعائر الصلاة المسيحية في مخبأ داخل قصرك، ورئيس هؤلاء هو مكسيمليانوس ابن الوالي وأصحابه من رؤساء هذه المدينة المشهورين.

***

---

(٢٨) الماجريات: هي الحوادث، والكلمة محدثة مأخوذة من قولهم: جرى ما جرى يقال: "كانت بينهم مناظرات وماجريات يطول شرحها" حاشية من تعريب القصة المنشورة في المجلة البطريركية عدد ٦٦، ص٣٠٢.



الفتية أمام داقيوس:

فاستشاط الملك غضبًا، وأحضر الفتية أمامه وهم يجهشون بالبكاء وشعر رؤوسهم معفّر بالتراب وقال لهم: ما الذي منعكم من الحضور معنا في أثناء تقديمنا والشعب كله الذبائح التامة للآلهة؟ فإذا أنكم لم تنضموا في حينه إلى صفوف رؤساء وأهل هذه المدينة، فتقدموا الآن وتمثلوا بهم بتقديم الذبائح اللائقة بالآلهة بابتهاج.

فأجاب مكسيمليانوس وقال: نحن لنا إله جبار غير منظور، السماء والأرض مملوءتان من جلال ذاته الإلهية، له وحده نقدّم ذبائح إيماننا الطاهرة الخفية وبخور تمجيد ألسنتنا بضمائر صافية نقية، وطلبات متواصلة متتالية. أما الأصنام فلا نقدّم لها بخور الدخان، ولا ندنس أروحنا ونقاء أجسادنا بالذبائح الفاسدة المقدمة للأبالسة. حينئذ كلم الملك كل واحد منهم بالمناوبة على حدة فأقروا بإيمانهم كالسابق.

فأمر الملك ونزع منهم ربط مناطقهم وقال لهم: بما أنكم لا تؤمنون بآلهة مملكتنا، فأنتم مجردون من رتب أجنادها السامية. وإنا لنتيح لكم فرصة تختبرون خلالها بدقة وتفتكرون في أنفسكم بفطنة، علكم ترجعون عن غيّكم، ثم تمثلون أمامنا ثانية فننظر في مصيركم. وأمر الملك أيضًا فنزعت عن أكتافهم شارات الحرير وأُخرجوا من أمامه. وانطلق داقيوس الملك إلى زيارة مدن أخرى مجاورة لأفسس على أن يعود إليها ثانية للغاية المذكورة أعلاه.

وكانت الفرصة سانحة لمكسيمليانوس ورفاقه ليقرنوا إيمانهم بأعمال الرحمة، فأخذوا من دور آبائهم ذهبًا ومالاً كثيرًا وتصدقوا به على الفقراء سرًا وعلنًا. وتشاوروا فيما بينهم قائلين: لنبتعد عن المدينة ولنلتجئ إلى الكهف الكبير في جبل أنكيلوس، بعيدين عن اضطرابات العالم وما تجلبه علينا معاشرة البشر من قلق

وخوف، ولنمكثن هناك مواظبين على الصلاة غير متقاعسين عن تمجيد الله، حتى يعود فنمثل بين يديه. وليصدر حكمه علينا كما وبما يشــاء. ولــتكن إرادة الله تعالى.

وإذ قرّ رأيهم جميعًا على ذلك أخذوا أكياس دراهم وصعدوا إلى الكهف في جبل أنكيلوس، ومكثوا هناك أيامًا عديدة عابدين لله بصلوات وتضرعات طالبين منه تعالى أن يصونهم ويدفع البلاء عنهم.

***

مهمة يمليخا الجديدة:

وكان يمليخا أحد هؤلاء الثمانية، شابًا حكيمًا وعدّاء، لذلك انتخبوه وكيلا عنهم، فكان يتشح بأسمال متسوّل متخفيًا، مزودًا بدارهم فيدخل المدينة؛ ليبتــاع لهم الطعام ويتجسس الأخبار مستطلعًا ماجريات الأمور في قصر الملك. ويــوزع الصدقات على الفقراء ويعود إلى رفاقه، فخبرهم عما يدور في المدينة وما يقع من أحداث. وذات يوم عاد داقيوس الملك إلى أفسس، وأمر موظفي القصر أن يقدموا الذبائح مع مكسيمليانوس ورفاقه، فحدث خوف عظيم وترك كثير من الــمؤمنين المدينة هاربين من الملك.

أما يمليخا فخرج منها هلعًا ناجيًا لا يلوى على شيء ومعه قليل من الطعام، وصعد إلى الكهف حيث رفاقه وهو مضطرب من شدة الضيقة، وأخبرهم عــن دخول الملك الطاغية إلى المدينة وأمره موظفي البلاط كافة وهم مــن جملتــهم ليضحوا للأصنام. وعندما سمع رفاقه ذلك تملكهم الخوف، وركعوا علــى الأرض مرغين وجوههم بالتراب، متضرعين إلى الله بحزن وكآبة مسلّمين إليه أرواحهم. فانتصب يمليخا ووضع أمامهم الطعام اليسير الذي كان قد ابتاعه لهم وأجلســهم ليأكلوا ويتقوّوا ويستعدوا لمنازلة الطاغية. وعند غروب الشمس تناولوا طعــامهم

وعيونهم تترقرق بالدموع السخينة وقلوبهم تفيض أسى وألمـا. وبينما كانوا يتجاذبون أطراف الحديث إذا بأجفانهم عن كآبة تثقل، وإذا بنفوسهم قد لفها الحزن، وبأفئدتهم قد ذابت، وأعصابهم قد ارتخت وتخدرت فاستولى عليهم النعاس. وأمر الإله الرحيم الذي يعتني بالعاملين في كرمه الإلهي أن يغشاهم سبات هنيء، فرقدوا بهدوء لقصد رباني أعلن بعد سنين بأعجوبة باهرة.

***

موت أم رقاد؟

و لم يشعروا بموتهم، ولا بانفصال أرواحهم عن أجسادهم، إذ رقدوا جميعًا على الأرض كالغرقين في سبات عميق، وسلّموا أرواحهم في يد الله وهم يتلون كلمات الإيمان به تعالى. وكانت دراهمهم موضوعة في أكياسها على الأرض بجانبهم.

وفي صباح ذلك اليوم أمر الملك أن يمثل الفتية أمام، ففتشوا عنهم في البلاط وفي المدينة وضواحيها؛ فلم يعثروا عليهم.

وقال الملك لكبار رجال مملكته: لقد آلمني كثيرًا هروب الفتية أبناء العظماء؛ إذ قد توهموا أننا قد غضبنا عليهم للذنب الذي اقترفوه. و لم يعلموا أن المغفرة متوفرة لكل من يعود إلى الآلهة تائبًا. أجاب عظماء المدينة وقالوا للملك: لا تأسف جلالتكم على الفتية المتمردين فقد بلغنا أنهم لا يزالون مصرين على وقاحتهم، وقد انتهزوا الفرصة التي اختموها لهم ليتوبوا خلالها، فكملوا إرادتهم الشريرة، ووزعوا في أسواق المدينة أموالهم ودراهمهم، واختفوا و لم يشاهدوا امرؤ قط منذئذ. وإذا أمرتهم جلالتكم أن يحضروا أمامكم، فليلق القبض على آبائهم، ويضيق عليهم الخناق ليطلعوكم على مكان كمينهم.

فاستشاط الملك غضبًا عند سماعه وارسل رجالاً جذبوا أمامه آباء الفتية.

فسألهم قائلا: أين هم العصاة الذين فرّوا من أمام وجه جند مملكتنا محتقرين أوامرنا السنية، مزدرين عبادة الآلهة الموقرة، وقد قررنا الآن أن نحكم عليكم بالموت بدلاً منهم. أجاب هؤلاء قائلين: يا مولانا الملك المعظم: إننا لم نعص أمر جلالتك و لم نرفض عبادة الآلهة المكرمة. وقد بدد الفتية ذهبنا وفضتنا وهم الآن مختفون في كهف في جبل أنكيلوس وهو ليس بعيدًا عن المدينة كثيرًا، و لم نرهم منذ اختفائهم ولا نعلم إن كانوا أحياء أم أمواتًا، ونحن أيضًا قلقون جدًا، فعندما سمع الملك الطاغية احتجاجهم هذا أخلى سبيلهم، وبينما كان يفكر مليًا في العقاب الصارم الذي يوقعه بهم، ألقى الله في نفسه أن يأمر بسد باب الكهف بالحجارة فتدفن أجساد القديسين الطاهرة. وتلك إرادة الرب التي لم تأذن للطاغية في أن يحرك أجساد القديسين الراقدين، والذين حفظهم الله بمعرفته الأزلية؛ ليكونوا بانبعاثهم مبشرين بالقيامة العامة، وليكونوا بأنفسهم برهانًا ساطعًا يثبت المرتابين.

***

صورة إيمان الفتية:

وقال الملك: هذا وهو حكمي على أولئك المتمردين؛ إذ قد عصوا أوامري العلية الخفيفة، واحتقروا عبادة الآلهة، فلا طائلة تحتهم لرفع شأن مملكتنا، فلم يظهرون أمام الآلهة؟

لذلك فليسد في وجوههم باب الكهف الذي التجأوا إليه وليبن بحجارة منحوتة كاملة ولتهلك حياتهم بشقاء في سجن أبدي. وهكذا أصدر الملك أمره السابق ظنًا منه ومن أهل المدينة أن المعترفين كانوا لا يزالون أحياء في كهفهم.

وكان أنتودوروس وأربوس وكيلا للملك، مسيحيين مؤمنين، وقد أخفيا عقيدتهما خوفًا من الملك. فتشاوروا معًا قائلين لنكتب صورة إيمان هؤلاء



المعترفين بصحائف من رصاص، توضع داخل صندوق من نحاس يختم ويُدس في البنيان عند مدخل الكهف، فربما يصدر الأمر الإلهي قبل مجيء المخلص ثانية فيفتح الكهف فتكرم أجساد القديسين الطاهرة، إذ سيعرف إيمانهم من الكتابة الموجودة على باب الكهف. وشاءت إرادة الله أن ينجز هذان الرجلان المؤمنان ما فكرا فيه، وأن يتأكدا خفية من موضوع الكتابة المختومة.

***

ثيودوسيوس والقيامة العامة:

وهلك الملك داقيوس ومضى جيله كله، وخلفه على العرش ملوك كثيرة حتى جلس في دست الحكم الملك المؤمن ثيودوسيوس[٢٩] بن ارقاديوس. وظهرت على عهده بدعة شنيعة عكرت صفاء الكنيسة بمحاولتها نقض حقيقة القيامة العامة، وإخفاء معالم الوعد الذي منحه السيد المسيح لبيعته ببعث الموتى. وكان الملك المؤمن مضطربًا بما يطرق أذنيه من الخرافات. علاوة على ذلك فقد أبرز الوثنيون في البلاط للملك جهرًا كتبًا مزورة. كما أن بعض أساقفة ذلك العصر أيضًا الذين كانوا متمرغين في حماة الفساد، أضحوا سبب عثرة لكنيسة الله، وفي مقدمتهم

---

(29) ثيودوسيوس الصغير (Theodosius) (٤٠٨- ٤٥٠ م): ملك سنة ٤٠٨م، وفي زمانه توطدت أركان المسيحية. وكان يكثر من الصوم، ولا سيما يومي الأربعاء والجمعة، ويواظب على مطالعة أسفار الكتاب المقدس حتى حفظهما على ظهر قلبه. وقيل له يوما: "لما لا تقتل أحدا؟" فأجاب: "ليتني أستطيع أن أحي الموتى". ولتمكسه بأهداب الفضيلة، نهى الشعب عن حضور الملاعب والملاهي أيام الآحاد والأعياد قائلاً: "للعبادة وقت وللهو وقت". وجمع مشاهير الفقهاء فوضعوا سنة ٤٣٥م مجموعة الشرائع المنسوبة إليه أذاعها سنة ٤٣٨م. وكان كثير الإجلال لرفات القديسين فقد أمر بنقل رفات يوحنا الذهبي الفم إلى القسطنطينية بإجلال وإكرام، وبكى حين شاهدها طالبًا إلى الله أن يغفر لوالديه اللذين اضطهدا يوحنا. ونقل أيضًا رفات الأربعين شهيدًا من سبسطيه إلى ضواحي القسطنطينية. كما أن رفات القديسين أغناطيوس النوراني نقلت على عهده من رومية إلى إنطاكية. وتوفي ثيودوسيوس في ٢٨ تموز سنة ٤٥٠م. من كتاب أهل الكهف في المصادر السريانية ص٢١.

[...]ودوروس أسقف مدينة غالوس وسواه ممن لا يستحقون أن تذكر أسماؤهم في [...]صة المعترفين؛ إذ أنهم أضنوا كنيسة الله وأتعبوها، وعكروا صفاء الإيمان بمجادلتهم [...]ليمة وأبحاثهم المضلة.

أما الملك ثيودووسيوس فاذ ساورته الشكوك الكثيرة واضطربت نفسه جدًا، [...]ان يذرف الدموع السخينة على إيمان الكنيسة المستقيم الذي كانت تتجاذبه [...]كان من قوى الريبة والشك. فقد أنكر بعض الهراطقة[٣٠] قيامة الموتى. وقال [...]رون أن الجسد الذي تفسخت أعضاؤه وتبددت لا يحيا ثانية ولا ينبعث، سوى [...]وح الذي وحده ينال موعد الحياة. وقد ضل وكذب هؤلاء فيما نطقوا، و لم [...]موا أن الطفل عندما تلده أمه لا يكون عادة روحًا بلا جسد ولا يكون جسدًا [...]ليًا من نسمة الحياة، ولقد أظلمت بصائرهم وصمت آذانهم عن سماع كلمات [...]عد الإلهي التي نطق بها ربنا إذ قال: **"حين يسمع الأموات صوت ابن الله**

[...]) هرطوقي (Heterodox): ضد مستقيم الرأي، تدل هذه الكلمة على من لا يوافق على صيغة الإيمان. [...] توسعي من يرفض إحدى عقائد الإيمان، ولكن بدون ذنب شخصي. صيغة للقضية التي تخالف الإيمان. [...] معجم الإيمان المسيحي).

والسامعون يحيون"(٣١)(٣٢). وقد قيل أيضاً: "استيقظوا ترنموا يا سكان التراب"(٣٣).

وقيل: "هانذا افتح قبوركم واصعدكم من قبوركم"(٣٤).

أما الهراطقة العديمو الحياة فقد حولّوا حلاوة الحياة إلى علقم أكثر مرارة من نفوسهم وكدروا بالشكوك صفو ضمائر المؤمنين الطاهرة.

وتبلبت أفكار الملك ثيودوسيوس، وشفه الحزن، وتلبسته الأمراض، فاتشح بالمسوح، وافترش الرماد، أما الإله الرحيم الذي لا يسر بهلاك الإنسان(٣٥) وحيدانه عن جادة الحق، فقد أعاد للضمائر المريضة صحتها ولعقيدة موعد الحياة ثباتها بانبعاث الموتى الذين هيأهم بسابق علمه الإلهي ليكونوا بانبعاثهم بمثابة دواء ناجع يبعد عن الكنيسة ما نفث فيها من سموم، ويعيد إليها صفوها، ويوطد دعائم بنيانها، فلا تقوى عليها الأمواج الهائجة المرتطمة بها. وليضيء أمام الملك ثيودوسيوس بنور العزاء إكليل الظفر مع آبائه.

نزع الحجارة من باب الكهف:

---

(31) يو: ٥: ٢٥.

(32) هذه الرموز تشير إلى آيات من أسفار الكتاب المقدس، ومعنى هذه الرموز على سبيل المثال:

(يو ٥: ٢٥) تعني: انجيل يوحنا، الاصحاح (الفصل الخامس، الآية ٢٥).

(أش ٢٦: ١٩) تعني: سفر أشعيا، الاصحاح السادس والعشرون، الآية ١٩).

(((ولقد أضافها وأشار إليها كاتب القصة النصراني كآيات إيمانية بهدف ترسيخ الإيمان في نفوس طائفته فهذه الآيات لا تشير إلى وقائع وأحداث هذه القصة ذاتها في الكتاب المقدس؛ لأن قصة أهل الكهف في الفكر المسيحي تمس واقعة حدثت في عهد الملك داقيوس عام ٢٥٠ من ميلاد المسيح – أي بعد كتابة أسفار الكتاب المقدس–))). (المؤلف).

(33) أش: ٢٦: ١٩.

(34) حز: ٣٧: ١٢.

(35) حز: ١٨: ٢٣.

لذلك ألقى الله في نفس أدوليس (Adolius) صاحب المرعى الـذي يقـع فيها الكهف حيث رقد المعترفون، أن يشيد حظيرة الماشية، فشمر عبيـد وعمـال كثيرون عن ساعد العمل مدة يومين كانوا يقلعون خلالها الحجارة مـن مـدخل القبور ويستعملوها لبنيان الحظيرة. وهكذا نزعوا الحجارة من باب الكهف أيضًا.

فلما انفتح في اليوم التالي، أمر الإله أن يبعث الفتية الراقـدون في الكهـف أحياء، ولا غرو فهو الإله القدير الذي يحيي الموتى، ويهب نسمة الحياة للجـنين المحبوس في بطن أمه، ذلك الذي جمع أشتات العظام في وسط البقعة وأحياها(٣٦). الذي بقوته الإلهية دعا لعازر من القبر فخرج حيًّا ملفوفًا بالكفن(٣٧). هو الإلـه الذي شاء أن يعيد بأمره الإلهي نسمة الحياة إلى أولئك المعترفين الراقدين في ذلـك الكهف، فاستيقظوا وأسارير وجوههم منبسطة، وسلم بعضهم على بعض كعادتهم صباح كل يوم، ولم تظهر عليهم علامة الموت، ولم تتغير هيئتهم ولا ألبستهم التي كانوا متشحين بها منذ رقادهم، فظنوا وكأنما قد ناموا مساء واستيقظوا صـباحًا، ودب القلق إلى رؤوسهم وتوهموا أن داقيوس الملك لا يزال يطلبـهم، فعـادت الكآبة تملأ قلوبهم وانهمرت الدموع من عيونهم، وتطلعوا بحزن إلى يمليخا وكيلهم وشرعوا يسألونه مستعلمين عما كان يدور في المدينة مساء يومهم السابق.

فأجاب يمليخا وقال لهم: مثلما ذكرت لكم عشية أمس أن أمرًا قد صدر من الملك داقيوس بموجبه يقتضي علينا وعلى موظفي القصر كافة نحر الذبائح للأوثان بحضور الملك، ولا أعلم ماذا سيكون من أمرنا.

قال مكسيمليانوس لصحبه: إخوتي اعلموا أننا سنقف يوما أمام منبر المسيح الرهيب؛ لذلك يجب أن لا نرتعب عند وقوفنا في القضاء أمام الناس، ولا نكفـر

---

(٣٦) حز: ٣٧: ١- ١٠.

(٣٧) يو: ١١: ١- ٤٤.

بنعمة الحياة التي نلناها بالإيمان بابن الله، ثم قالوا جميعًا ليمليخا: لقد آن أوان الغداء فخذ معك فضة وانطلق إلى المدينة، وأسرع بالعودة إلينا بعد أن تستعلم نتائج أوامر الملك داقيوس، وتبتاع لنا طعاما أكثر كمية مما أتيتنا به يوم أمس؛ إذ كان ذلك نزرًا يسيرًا، وقد عضنا الجوع كثيرًا. قالوا ذلك ظنا منهم أنهم أصبحوا من ليلتهم التي باتوها.

***

افسس هل تغيرت؟

ونهض يمليخا كعادته صباح كل يوم، وأخذ كيس من الفضة قطعا من فئة الاثنين والستين والأربعة والأربعين مما كان يتداوله الناس من درهم عصرئذ، والتي كانت قد ضربت قبل عهد رقاد المعترفين، وكان تاريخها ثلاثمائة واثنتين وسبعين سنة قبل استيقاظهم، وخرج يمليخا من الكهف مبكرًا جدًا قبل انبلاج نور الصبح، وتعجب لما رأى الحجارة موضوعة عند بابه، ولكنه لم يبال بهم كثيرًا، بل انحدر من الجبل واتجه نحو المدينة متحاشيًا السبيل المطروق؛ خشية أن يراه أحد فيتحقق هويته ويشيء به إلى داقيوس قيصر فيأتي به إليه، و لم يعلم أن عظام ذلك الأثيم قد بليت في الهاوية فكانت مع الهالكين. وعندما اقترب يمليخا من باب المدينة اندهش جدًا إذ رأى علامة الصليب منحوتة في أعلاه وأخذ يسترق النظر متطلعًا إلى هنا وهناك متعجبًا يذرع الأرض خارج السور ذهابًا وإيابًا مشغول الفكر مستغربًا.

وتحول إلى باب آخر من أبواب المدينة فرأى المنظر ذاته وزاد تعجبه ثم دار حول سور المدينة فرأى أبوابها كلها وقد نحت عليها علامة الصليب، وتطلع إلى داخل المدينة فلم يميزها إذ شاهد فيها أبنية جديدة تنكرت له، فملأت الدهشة نفسه وهو يسير كإنسان صرعته الخيالات، وعاد إلى الباب الذي قصده أولاً، وأخذ يفكر بنفسه قائلاً: ما هذا الأمر يا ترى؟ هو ذا علامة الصليب قد وضعت

على أبواب المدينة علانية، وقد كانت حتى عشية أمس تخبأ في الظلمــة. وأخــذ يجمع شتات أفكاره، ويتحسس جسمه ويقول: ألعلي في حلم؟ وشــجع نفســه أخيرًا وأخفى رأسه بردائه، ودخل المدينة وجعل يمشي في السوق فيسمع الكثيرين عندما يحدث بعضهم بعضًا يقسمون باسم المسيح، فاختلط عليه الأمر، وخــاف جدًا، وقال في نفسه: ليت شعري ما تفسير هذا الأمر؟ فعشية أمس لم يكن أحد يجرؤ على التلفظ باسم المسيح جهرًا واليوم اسمع ألسنة الناس تلهج باسمه الكريم.

وأخذ يقول في نفسه: ألعل هذه مدينة أفسس أم غيرها؟ فأبنيتها تختلف عــن تلك، وتعابير لغتها أيضًا متغايرة، لكني لا أعرف، ولم أشاهد مدينة كهذه بجوار أفسس. وبينما كان يلميخا متعجبًا لقي شابًا فسأله: أخبرني بربك أيها الشاب ما اسم هذه المدينة؟ أجابه: اسمها أفسس. فزاد يمليخا حيرة، وقال في نفسه: لعمري لا أعلم ما جرى لي، ألعلي فقدت عقلي وغاب عني صوابي؟ الأفضل أن أســرع بالخروج من هذه المدينة قبل أن يمسني الجنون فأهلك، أراني قد اســتولت علــيّ الخيالات وغدوت كالحيران.

هذه الأمور تحدث عنها يمليخا عندما صعد إلى الكهف عند أصدقائه بعدما انتهت حادثة بعثهم فدونت بعدئذ في الكتب.

***

يمليخا والكنز المفقود:

وإذ كان يمليخا مسرعًا ليترك المدينة تقدم بزي شحاذ إلى الخبازين، وأخرج الدرهم من جيبه وأعطاها أحدهم، فأخذ يتأملها فرآها كبيرة الحجــم ويختلــف ضرب طابعها عن طابع الدراهم المتداولة في عصرهم، فتعجب جــدًا، وناولهــا زميله، وهكذا أخذوا يتطارحونها الواحد إلى الآخر وهم جالسون على قاعــدة بيع الخبز، وكانوا يتهامسون، ويتطلعون إلى الرجل، ويقولون إنه عثر على كــنز

خبيء من زمن طويل. وارتعدت فرائص يمليخا خوفًا عندما شاهدهم يتشاورون وهم يرنون إليه، وظن أنهم قد عرفوه وسيأخذونه إلى الملك داقيوس، وخاصة وأن بعضهم أخذ يتأمل وجهه عن كثب. فقال لهم وقد تملكه الفزع: إني أهب لكم الدراهم، ولا أريد خبزًا.

أما هم فألقوا القبض عليه وأخذوا يسألونه قائلين: من أين أنت يا هذا؟ لقد أصبت كنزًا من كنوز الأولين، فأظهره لنا لنشاركك فيه ونخفي حقيقة أمرك وإلا سلمناك إلى حكم الموت. فاستغرب يمليخا جدًا وقال في نفسه: إن ما لم أكن أحذر منه قد زيد إلى مخاوفي. وقال له أولئك القوم: لا تظن أيها الشاب أن الكنز يخفى. أما يمليخا فلم يكن يدري بماذا يجيبهم. وإذ رأوه صامتا لا ينبس ببنت شفة، طوقوا عنقه بردائه، وسط السوق وشرعوا يعذبونه؛ ليحملوه على الاعتراف بالكنز، وانتشر الخبر في المدينة كلها أنه قد أُلقي القبض على شاب لقى كنزًا من كنوز الأولين، فتألب الناس حوله وكانوا يتطلعون إلى وجهه فلم يعرفه أحد منهم، فقالوا: إنه شاب غريب الجنس لم نره من قبل البتة.

فتعجب يمليخا و لم يقوِ على الكلام و لم يستطع إقناعهم بأنه لم يجد كنزًا، وإذ كان واثقًا من نفسه، وهو يظن أن له أبوين وإخوة وعشيرة كبيرة ومشهورة في مدينة أفسس، وهو متأكد تمام التأكد من أنه كان عشية أمس يعرف عددًا كبيرًا من سكان المدينة، ولكنه في ذلك الصباح لم يتمكن أن يتعرف على أحد منهم، فكان يتطلع على الجموع كالمجنون ليرى أحدًا من إخوته أو معارفه فلم ير. فاستولى عليه الدوار وصرعته الخيالات. حينئذ هاجت المدينة وماجت، وتناهى الخبر إلى الكنيسة، واستمع له أسقفها القديس ماريس، وكان يزوره وقتئذ أنتوباطس والي أفسس، فقد شاءت العناية الربانية أن تجمعهما في تلك الساعة معًا؛ ليظهر على أيديهما للشعوب كلها كنز بعث الموتى.

يمليخا مع أسقف ووالي أفسس:

فأمر بإحضار الشاب ودراهمه أمامهما، فجُر يمليخا وجيء به إلى الكنيسة وهو يظن أنه يؤخذ إلى داقيوس الملك، فجعل يتلفت يمينه ويساره، والجموع تهزئ به كما يستهزئون بمعتوه، وأُدخل إلى الكنيسة حيث كان الأسقف ماريس والوالي أنتوباطس اللذان تعجبا من رؤية دراهم الرجل، وسأله أنتوباطس قائلاً: إن دراهمك هذه تدل على أنك قد أصبت كنزًا، فقل لنا أين هو هذا الكنز؟

فأجاب يمليخا: إني لم أجد كنزًا أبدًا أما هذه الدراهم، فهي من فضة آبائي، وهي عملة هذه المدينة، ولكني لا أعلم تفسير ما جرى لي.

قال أنتوباطس: من أين أنت؟

أجاب يمليخا: أظن أنني من أهل هذه المدينة.

قال له ذاك: ابن من أنت ومن يعرفك ها هنا؟ ليأت ويشهد لك.

فذكر له يمليخا اسم والديه(٣٨)، فلم يوجد من يعرفهما وإياه.

فقال أنتوباطس: أنت إنسان كاذب لا تنطق بالصدق.

وإذ كان يمليخا قائمًا بينهم متحيرًا مطأطأ الرأس صامتًا، قال بعض المحتاطين ربما كان هذا الإنسان معتوهًا. وقال آخرون: كلا بل إنه يتظاهر بالجنون ليتخلص من هذه الورطة. ونظر إليه أنتوباطس شزرًا وقال: كيف نعتبرك معتوهًا؟ وكيف نصدق أن دراهمك هذه هي من فضة آبائك، وصورة الدراهم تشير إلى أنها قد ضربت قبل ثلاثمائة واثنين وسبعين(٣٩) سنة أي قبل عهد الملك داقيوس بسنين؟ كما أن هذا الختم لم يستعمل لدراهم أخرى، ولا يشبه ختم الدراهم

(٣٨) لم يذكر التاريخ اسم والدي يمليخا، ولا أسماء آباء صحبه المعروفين. (من حاشية الكتاب الأصلي).
(٣٩) هذا تاريخ ضرب العملة، لا مدة سبات الفتية في كهفهم. (من حاشية الكتاب الأصي).

المتداولة بين الناس في عصرنا هذا. فهل وجد آباؤك قبل سنين وأجيال عديدة، وأنت لا تزال شابًا؟ لعلك تحاول أن تخدع شيوخ مدينة أفسس وحكماءها؟ أراني مضطرًا الآن إلى أن أصدر أمري بتكبيلك بالقيود، وإيقاع أمر العذاب بك حتى تعترف بالكنز الذي وجدته. فلما سمع يمليخا هذا الكلام سجد أمامهم وقال: أجيبوني أيها السادة عن سؤال، وأنا أكشف لكم مكنون قلبي. أنبئوني بربكم عن الملك داقيوس الذي كان، عشية أمس، في هذه المدينة، أين هو الآن؟

أجابه الأسقف ماريس قائلاً: يا بني لا يوجد في عالمنا اليوم ملك يسمى داقيوس، ولم يوجد إلا ملك واحد هلك منذ أجيال عديدة. فأجاب يمليخا وهو ساجد أمامهم: أن الخيالات يا سيدي الأسقف قد استحوذت عليّ، وإن خبري أصعب من أن يصدقه أحد من الناس. هلم معي إلى الكهف في جبل أنجيلوس لأريكم أصحابي وسنعرف منهم جميعنا الأمر الأكيد. أما أنا فما أعرفه هو أننا قد هربنا منذ أيام من الملك داقيوس. وعشية أمس رأيت داقيوس يدخل مدينة أفسس، ولا أعلم الآن إذا كانت هذه المدينة أفسس أم لا؟

***

الأسقف ماريس مع الفتية في الكهف:

فاشتغل بال الأسقف ماريس عند سماعه قول يمليخا، وبعد تفكير عميق قال: إنها لرؤيا يظهرها الله لنا اليوم على يد هذا الشاب، فهلم بنا ننطلق معه لنرى الأمر الواقع. قال هذا ونهض والوالي أنتوباطس ومعهما كبار رجالات المدينة، وركبوا عربات، وتسلقوا الجبل، وعندما وصلوا إلى الكهف حيث المعترفون، دخل يمليخا أولاً وتبعه الأسقف ماريس، وبينما كان يدخل الكهف عثر في الجهة اليمنى من بابه على صندوق من النحاس مختوم بختمين من الفضة، فتناوله ووقف أمام مدخل الكهف، ودعا كبار المدينة وأشرافها وفي مقدمتهم أنتوباطس ورفع أمامهم

الأصنام، وفح الصندوق، فوجد لوحين من نحاس، وقرأ ما كتب عليهما "لقد هرب إلى هذا الكهف من داقيوس الملك المعترفون مكسيمليانوس ابن الوالي وعليخا ومرتينيانوس وديونيسيوس ويؤانس وسرافيون وقسطنطنوس وأنطونينوس. وقد سد الكهف عليهم بحجارة "وكتبت أيضًا في سطور اللوحين الأخيرة صورة إيمان المعترفين.

وعندما قرئت هذه الكتابة، تعجب السامعون، وقدموا المجد لله على المعجزات والبينات التي أظهرها لهم وللبشر كافة، ودخلوا الكهف فشاهدوا المعترفين جالسين بجلال ووجوههم مشرقة كالورد النضر؛ فسجد الأسقف ماريس والوالي أنتيباطس وسائر العظماء والشعب المرافق لهم على الأرض، أمام المعترفين، ومجدوا السيد المسيح ربهم الذي أهلهم ليروا هذا المشهد العجيب. وهؤلاء يشهدون جميعًا على أنهم تكلموا مع المعترفين، وفهموا منهم أخبار الحوادث التي جرت على عهد الملك داقيوس.

***

الملك ورجاله في الكهف:

وأرسل فورًا إلى الملك ثيودوسيوس بريد مكتوب مضمونه: "لتسرع جلالتك وتأت فترى ما أظهره الله تعالى على عهدك الميمون من العجائب الباهرات، فقد أشرق من التراب نور موعد الحياة، وسطعت من ظلمات القبور أشعة قيامة الموتى بانبعاث أجساد القديسين الطاهرة".

ولما بلغ ثيودوسيوس الملك الطاهر هذا النبأ، تقوّت نفسه، فترك مسوحه ونهض عن الرماد الذي كان قد افترشه، ورفع يديه نحو السماء وهو يقول: أشكرك أيها المسيح ملك السماء والأرض، على أشعة الرحمة التي جعلت أن

تشرق عليّ من شمس برك، فلم ينطفئ نور عقيدتي من سراج آبائي، و لم تسقط ولا واحدة من جواهر الإيمان المرصعة في تاج قسطنطين الملك الظافر.

وسمع الأساقفة وعظماء الشعب بهذا الخبر السار، فرافقوا الملك مغادرين معه القسطنطينية حالاً بفرسان ومركبات وعربات. ولما وصلوا إلى أفسس هبت المدينة بأكليروسها وكبار المعترفون إلى استقبال الملك، وصعدوا جميعًا إلى كهف المعترفون في جبل أنجيلوس وبادر المعترفون إلى استقبال الملك وضاءت برؤيته وجوههم. فدخل الملك إلى الكهف وخر ساجدًا أمامهم وعانقهم وبكى وجلس معهم على تراب الأرض وهو يرنو إليهم ويحمد الله. وكان قلبه يلهج بالشكر وهو يقول: كأني برؤيتكم الآن أرى السيد المسيح لما دعا لعازر فخرج من قبره، وكأنني أسمع صوته يوم مجيئه الثاني بالمجد، وعندما يخرج لاستقباله الموتى من قبورهم بلا عجب.

وقال مكسيميليانوس للملك: "أما الآن فنستودعك الله، وقد بلغ إيمانك الذروة، **وليحفظ المسيح ابن الله** جلالتك مصونًا من البلبلة التي يثيرها إبليس، وكن على يقين أن ربنا، لأجلك، قد بعثنا من التراب قبل يوم القيامة العظيم، ومثلنا مثل الجنين الذي طالما هو في بطن أمه لا يشعر بإكرام أو هوان ولا بجبروت أو ضعف، وأنه ولئن كان حيًا لا يحس بالأحياء، ولا بالأموات، وهكذا كنا نحن كالنائمين، هادئين مستريحين خالين من كل فكر".

ولما أكمل مكسيميليانوس كلامه ثقلت أجفانه ونعس رفقائه المعترفون كافة، وأسند رؤوسهم إلى التراب، وأسلموا بأمر الله أرواحهم ورقدوا. وكان الملك والأساقفة وكبار القوم يتأملونهم. ونهض الملك وبسط حلته الملكية على أجسادهم وهو يبكي، وأمر حالاً أن تصنع لهم ثمانية توابيت من ذهب. فظهر له المعترفون في الحلم ليلاً قائلين: "إن أجسادنا قد بعثت من تراب و لم تبعث من ذهب أو فضة،



فدعونا على التراب في نفس موضعنا من الكهف ذاته؛ لأن الله سيبعثنا من هناك".

فأمر الملك حالاً أن توضع صفائح من ذهب تحت أجسادهم، وتركهم في مواضعهم حتى يومنا هذا.

وأقر مجمع من الأساقفة عيدًا لهؤلاء المعترفين. ووزع الملك صدقات جزيلة على فقراء تلك المنطقة، وأطلق سراح الأساقفة المأسورين في المنفى، وعاد ومعه الأساقفة إلى القسطنطينية، مغمورين بفرحة إيمان الملك، ممجدين الله تعالى على كل ما جرى.

***

تعقيبات

التعقيب الأول:

تحديد المدة بسك العملة

كتب البطريرك مار أغناطيوس الأول في كتابه **(أهل الكهف في المصادر السريانية)** عن زمن رقاد أهل الكهف من مفهوم الفكر المسيحي (ص ١٨- ١٩) ما يلي:

[أجمع المؤرخون السريان، أن رقاد أهل الكهف كان على عهد الملك داقيوس (٢٤٩- ٢٥١م) أما استياقظهم فكان على عهد الملك ثيوديوسيوس الصغير (+٤٥٠)].

ويقول مار يعقوب السروجي (+٥٢١) في قصيدته الآنفة الذكر عن زمن رقادهم ما تعريب:

"عندما خرج داقيوس إلى زيارة قرى مملكته ومدنها، دخل أفسس، وألقى فيها رعبًا عظيمًا، وأقم احتفالاً لروس وأبولون وأرطاميس. . . كان هناك فتية من النبلاء رفضوا الإذعان لأمره ولم يخضعوا له كسائر رفاقهم وتجلببوا بالإيمان وهم الخراف الوديعة، وأصروا على ألا يخروا أمام الآلهة".

ويقول عن زمن استياقظهم: "مرت عهود الملوك الوثنين وزال سلطانهم، وساد السلام في الكنيسة المقدسة في العالم. وشاء الرب أن يوقظهم لمجد (اسمه القدوس) ويظهرهم للمؤمنين ليكرمهم".

ويردف قائلا: "تناولوا لوحي الرصاص وقرأوهما ومنهما علموا أسماءهم وعملهم. فأخبروا حالاً الملك العظيم ثيودوسيوس ليأتي حالا ويراهم".

وعن مدة رقاد أهل الكهف من مفهموم الفكر المسيحي، كتب البطريرك مار أغناطيوس زكا الأول ص (٢٢- ٢٦)، ما يلي:

[جاء في تاريخ زكريا الفصيح (٥٣٦+)].

"سنة (٣٨) لملك ثيودوسيوس الملك حدث جدال بموضوع قيامة الموتى، . . والهم الله (أدليس) صاحب المنطقة التي فيها الكهف ليبني حظيرة للماشية والخ. .

وحيث أن ثيودوسيوس ملك سنة ٤٠٨م كما مر بنا، يضاف إليها ٣٨ سنة ليكون المجموع ٤٤٦ سنة يطرح منها ٢٥٠ سنة، وهي سنة اضطهاد داقيوس المسيحيين، وهروب الفتية إلى الكهف ورقادهم، فيبقى ١٩٦ سنة وهي المدة التقريبية لرقاد الفتية في الكهف حتى بعثهم.

وزكريا الفصيح نفسه يحدد مدة الرقاد بعددين متناقضين فمرة يقول: "ما يقارب ١٩٠ سنة" ومرة أخرى يقول: "١٢٠ سنة". ويصحح ناشر تاريخه هذه السنة فيجعلها ١٩٠ سنة كالسابقة.

وفي سرد القصة يقول زكريا: "إن الوالي أجاب ديونيسيوس (أحد فتية الكهف) قائلاً: كيف نصدق كلامك، وكتابة هذه العملة وختمها يعودان إلى ما قبل مئتي سنة".

ويقول ابن العبري (١٢٨٦+):

"وبعد مئة وثماني وثمانين سنة من رقاد الفتية في السنة الثامنة والثلاثين لملك الملك ثيودوسيوس الصغير في أيام المجادلة بموضوع قيامة الموتى وشكوك الملك. . . نفخ الله بالراقدين حياة، فاستيقظوا وكأنهم يستيقظون من نومهم".

أما الرهاوي المجهول (١٢٣٤+) فيقول في تاريخه: "إن مدة رقاد الفتية كان ٣٧٠ سنة".

وتحدد بعض النصوص السريانية مدة الرقاد بـ (٣٧٢) سنة، وبذلك تجلب الشكوك في صحة القصة.

ويقول الزوقيني (٧٧٥م) في تاريخه:

"وأخذ (يمليخا) من عملة ذلك الزمن، الموضوعة في الكيس، من فئة اثنين وستين وأربع وأربعين، التي سُكّت على عهد الملك الذي كان قبل أيام المعترفين-المعترف: من اضطهد في سبيل الدين ولم يستشهد- وهي قبل ثلاثمائة وسبعين سنة".

أما مار يعقوب السروجي (٥٢١+) فيقول في قصيدته:

"كان لأحد الفتية قطع قليلة من العملة؛ لتكون برهانًا على إثبات الأعجوبة فبعد مرور الزمن، تبقى العملة ثابتة ومنها يعرف التاريخ الذي سُكّت فيه هذه العملة".

ويقول في الأبيات الختامية للقصيدة:

"منذ البدء وحتى الآن لمن جرى ما جرى لكم (أيها الفتية) فقد بعثتم (أحياء) بعد ثلاثمائة وسبيعين سنة (من زمن رقادكم)".

نستنتج من هذا كله أن النصوص السريانية لم تتفق فيما بينها على تحديد المدة التي رقد فيها أهل الكهف، ولكنها ذكرت أن رقادهم كان على عهد



داكيوس (٢٤٩- ٢٥١) وأن استيقاظهم كان على عهد ثيودوسيوس الصغير (٤٠٨- ٤٥٠).

فاختلاف السنين نتج من اختلاف تاريخ سك قطع العملة التي وجدت مع الفتية في الكهف بفنائها المتفرقة ليس إلا. "

***



التعقيب الثاني:

عدد الفتية وأسماؤهم

وأما عند فتية الكهف وأسماؤهم في المصادر السريانية المسيحية، فيقول فيه البطريرك مار أغناطيوس زكا الأول في كتابه (أهل الكهف في المصادر السريانية) ص (٣١- ٣٤):

[لم يتفق المؤرخون السريان على عدد أهل الكهف وأسماؤهم. فقد جاء في تاريخ زكريا الفصيح (٥٣٦+) ما يلي:

وهذه أسماء الفتية السبعة الذين هربوا (من أمام وجه داقيوس):

أكليديس، ودمدس، وأوكنيس، وأسطيفانس، وفريطيس، وسبطيس، وقرياقوس.

ولكنه يقول بعدئذ:

وقد أقاموا صديقهم الشاب الحكيم السريع الجرئ وكيلاً عنهم:

بينما كان زكريا أهمل اسم ديويسيوس في الجدول السابق، ويعود فيذكره ضمنلوحة الرصاص التي وجدت على باب الكهف، حيث يعدد الأسماء كالآتي:

أكليدس وديونيسيوس وأوكنيس وأسطيفانس وفريطيس وسبطيس وقرياقس.

ومن الواضح هنا أن اسم ديونيسيوس حل محل اسم دمدس، ولعل الاسمين لشخص واحد.

أما الراهب الزوقنيني (٧٧٥) الذي ضم تاريخه كتاب يوحنا الأفسسي (٥٨٧) برمته كما سبقت الإشارة إليه فيبدأ القصة بقوله:

"فصل من قصة الفتية الثمانية من أفسس وهم مكسيمليانس، ويمليخا، ومرطلوس، وديونيسيوس، ويؤانس، وسرافيون، وأكوسطدينوس، وأنطونيتوس الشهداء أبناء نبلاء أفسس".

أما مار يعقوب السروجي (٥٢١+) فلا يذكر في قصيدته المذكورة آنفا عددهم ولا أسماءهم سوى اسمين وهما:

أولاً: يمليخا حيث يقول على لسانه: "أجاب أحدهم واسمه يمليخا وهو فتى شجاع، وقال: أنا أنزل إلى أفسس واسترق الخبر، فأجابه رفاقه: إذن اشتر لنا خبزًا لنأكل".

ثانيًا: اسم مرطولوس، حيث يقول: أجاب أحدهم واسمه مرطولوس، وقال لإخوته: لديّ عملة (دراهم) أخذتها معي عندما خرجت إلى ههنا. فيأخذ منها يمليخا ويشتري لنا طعامًا.

وفي استجواب الوالي يمليخا يقول:

"وسأله حالاً عن أسماء رفاقه فسرد الفتى أمامه أسماء سائر إخوته وعددهم، وكيفية هروبهم ومكان اختفائهم".

أما ابن العبري (١٢٨٦+) فيقول:

"في أيام داقيوس الملك هرب الفتية السبعة من أفسس واختفوا في كهف. . .

ويقول في موضع آخر:



"وفي هذا الزمن. . . بعث من بين الأموات الفتية السبعة من أفسس، الذين كانوا قد هربوا في اضطهاد داقيوس واختفوا بكهف بأحد الجبال".

وهنا يسرد ابن العبري قصتهم بالتفصيل، ويسمي وكيلهم الذي نزل إلى المدينة اسم (ديونوس).

فعدد أهل الكهف إذًا بحسب الروايات السريانية أو ثمانية وأسماؤهم مختلف فيها كذلك.

ولعل هذا الاختلاف الطفيف جاء بسبب البيئة اليونانية، وأسمائهم اليونانية، فسردها النساخ السريان وحرفوا بعضها.

وكان الأجدر بالمؤرخين والنساخ أن يكونوا أكثر تدقيقًا في سرد أسماء الفتية وعددهم.

ويميل المؤرخون اليوم إلى الأخذ برأي القائلين إنهم كانوا سبعة. كما ثبتت الروايات اللاتينية واليونانية.

***

التعقيب الثالث:

أين رقد الفتية؟

وعن أين رقد أهل الكهف في المصادر السريانية المسيحية، كتب البطريرك **مار أغناطيوس** زكا الأول، في كتابه (**أهل الكهف في المصادر السريانية**) ص (٢٦- ٢٨):

[تؤيد المصادر السريانية كافة أن أهل الكهف قد رقدوا في كهف يقع على مرتفع يدعى جبل (إنكيلوس Ocholon) في ضواحي مدينة أفسس (Ephesus).

قال مار يعقوب السروجي (٥٢١+) في مطلع قصديته عن أهل الكهف ما ترجمته:

"أود أن أقص على السامعين خبر الفتية أبناء الرؤساء الذين من أفسس".

وقال على لسان أحد الفتية يخاطب رفاقه:

"يوجد ههنا في قمة الجبل كهف صخري، لنصعد أيها الأخوة فيه مدة من الزمن".

وقال على لسان يمليخا وهو يخاطب أسقف المدينة:

"أنني من مدينة أفسس وأنا ابن دروفوس أحد رؤسائها".

وقال أيضًا عن لوح الرصاص:

"كتبوا فيه: هؤلاء الفتية من أفسس هربوا من أمام وجه داقيوس".

وقال زكريا الفصيح (٥٣٦+):

"تاريخالشهداء السبعة الذين بعثوا في مغارة جبـــل (إنكيلـــوس) في مدينـــة أفسس".

وكتب مار أغناطيوس زكا الأول في ص (٣٠- ٣١):

[ولابد لنا من القول أن:

السيد F. Miltner المسئول عن الاكتشافات التي أجرها في **أفســس** المعهـــد النمساوي للآثار قبل الحرب العالمية الثانية، وقد نشر نتيجة أبحاثه باختصار، صرح قائلاً:

إن آثار الكنيسة التي اكتشفها في المكان المعروف تقليديًّا إنه الموضع الذي حدثت فيه الأعجوبة (بعث أهل الكهف) قرب كهف بانا يرداغ (Panayir Dagh) تدل على أن تشييد هذه الكنيسة يعود إلى القرن الخامس للميلاد.

وهذا مما يقيم الحجة على أن مدينة أفسس كانت موطن أهـــل الكهـــف، ومسرح أدوار أعجوبة رقادهم وبعثهم. **فالقصة بالسريانية تذكر بـــأن الملـــك ثيودوسيوس قد شيد كنيسة بقرب كهفهم، ولابد أن تكون آثار هذه الكنيسة التي اكتشفتها البعثة النمساوية المذكورة أعلاه].**

***

التعقيب الرابع

إيمان الفتية
بين
إيمان السريان والمسلمين

حين قرأت تعريب نص القصة من المصادر السريانية المسيحية- السابق سرده-؛ لاحظت أن في سياق القصة وردت العبارات التالية ضمن فقراتها:

١- "وكان مكسيمليانوس ويمليخا ومرتيلوس وديونيسيوس ويؤانس سرافيون وقسطنطينوس وانطونيوس ثابتين على صخرة الإيمان بابن الله".

٢- **قال مكسيمليانوس لصحبه**: إخوتي اعملوا أننا سنقف يومًا أمام منبر المسيح الرهيب؛ لذلك يجب أن لا نرتعب عند وقوفنا في القضاء أمام الناس، ولا نكفر بنعمة الحياة التي نلناها **بالإيمان بابن الله**.

٣- "فسجد الأسقف ماريس والوالي أفتوباطس وسائر العظماء والشعب المرافق لهم على الأرض، أمام العترفين، ومجدوا **السيد المسيح ربهم** الذي أهلهم ليروا هذا المشهد العجيب".

٤- "ولما بلغ ثيودوسيوس الملك الطاهر هذا النبأ، تقوّت نفسه، فترك مسوح والمنض عن الرساء الذي كان قد افترشه، ورفع يديه نحو السماء وهو يقول: أشكرك أيها المسيح ملك السموات والأرض، . . . "

٥- "وقال مكسيمليانوس للملك: أما الآن فنستودعك الله، وقد بلغ إيمانك الذروة، وليحفظ المسيح ابن الله[٤٠] جلالتك مصونًا. . . ".

* * *
* *
*

(40) ما معنى ابن الله؟ راجع كتابنا "البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل"- فصل " ابن الله".

الفصل الخامس

في

أهل الكهف في كتب الكاثوليك

من كتاب الكنز الثمين في أخبار القديسين، تأليف مكسيموس مظلوم بطريرك طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين، المجلد الأول، أورد في تذكار يوم ٢٢ تشرين الأول، ص(٢٧٧- ٢٨٢)، وكتب ما يلي:

"فيما يخص السبعة الشهداء الذين من أفسس:

أولاً: إن هؤلاء القديسين الشهداء السبعة الأفسين قد كانوا أخوة بالجسد. وهذه هي أسماؤهم أي: مكسيميانوس ومالخوس ومرتينيانوس وديونيسيوس ويوحنا وسارابيون ثم قسطنطين. فهؤلاء الشبان جنود الملك السماوي قد قربوا الله حياتهم ضحية من أجل الإيمان بالمسيح بالقرب من مدينة أفسس نحو سنة ٢٥٢ في زمن الاضطهاد القاسي الذي صنعه ضد المسيحيين الملك داكيوس قيصر.

وقد كرمتهم الكنيسة الجامعة كشهداء حقيقين وتحت هذه الصفة الشريفة يمدحون في الخُدم التي تقال في الفرض يوم تذكار استشهادهم الحاضر، ثم في اليوم الرابع من شهر آب المختص بتذكار الأعجوبة التي بواسطتها قد ظهرت أجسادهم المقدسة في المغارة القريبة من مدينة أفسس.

ثانيًا: وأما نوع استشهاد هؤلاء القديسين فليس هو بمعروف؛ لأن أعمال جهادهم لم توجد مدونة في التواريخ الكنائسية المدققة. بل إن الشيء المؤكد عنهم هو أن استشهادهم قد تم كما ذكرنا آنفًا في زمن الملك داكيوس حذاء مدينة

أفسس، حيث وجدت فيما بعد أجسادهم في مغارة ليست بعيدة من هذه المدينة.
فالبعض من الكتبة الكنائسيين يرتأون بأنه إذا كان هؤلاء القديسيون السبعة مختفين في تلك المغارة هربًا من الاضطهاد. قد عرف أمرهم المغتصب وأرسل فأغلق عليهم باب المغارة بصخور عظيمة، وهكذا هم ماتوا ضمنها.

وغيرهم يوردون أن الشهداء السبعة حقًا قتلوا من أجل الإيمان في مدينة أفسس. وبعد موتهم نقلت أجسادهم ودفنت في المغارة الموسى إليها.

وآخرون يظنون أن هؤلاء القديسين قد حبسوا ذواتهم أحياء باختبائهم في المغارة المذكورة؛ ليموتوا برضائهم هربًا أن يوجدوا في خطر الضعف البشري تحت العذابات القاسية، التي كانت يتكبدها المسيحيون في ذاك الاضطهاد الوحشي ومن جرايها قد نكر المسيح كثيرون قل ما يكون في الظاهر لينجوا منها.

فكيفما كان نوع استشهاد هؤلاء السبعة أمر حقيقي، هو أن الله أراد أن يكرمهم كعبيده الأمناء بإظهاره أجسادهم المقدسة بواسطة رؤيا سماوية. وذلك في ٤ آب سنة ٤٤٧ في زمن ولاية الملك ثاوضوسيوس الصغير. حينما كان يسوس كرسي أفسس الأسقف أستفانوس. وهكذا أضحت تلكم الذخاير المقدسة كينبوع مواهب روحية للمؤمنين.

ثالثًا: فوجود هذه الأجساد الطاهرة بالنوع العجيب الموصى إليه قد أعطى سببًا، ولئن كان ضعيفًا في أن تدرج على أفواه الشعوب خبرية، بأن هؤلاء الفتية القديسين بعد أن أغلق عليهم باب المغارة بأمر داكيوس الملك لم يموتوا حتى ضمنها لا طبيعيًّا ولا اقتساريًّا، بل رقدوا رقاد النوم مدة نحو مائتي سنة، وأخيرًا قد نهضوا من نومهم الطبيعي سنة ٤٤٧.

وإذ درجت هذه الخبرية فيما بين الناس أخذ البعض من المؤرخين الغير المدققين أن يوردوها في مصنفاتهم.

ولكن المؤرخين المتأخرين إذ فحصوا عن أصول هذه المسيرة ووجدوها عديمة الأساس، قد استنتجوا بالصواب أنها صادرة من قبل ظهور أجساد هؤلاء الشهداء في المغارة كانت عارية من الفساد، لا سيما لأنه حسب لهج المؤمنين الذين اعتادوا أن يسموا المتوفين بالرب خاصة القديسين بلفظة راقدين أو نائمين، فقد درجت تلك الخبرية بالنوع المقدم ذكره.

ثم لكي يتضح ذلك بأبلغ بيان نحن نوردها هنا ما حرره في هذا الشأن المؤرخ الشهير والمدقق الجليل الكردينال أورسي في تاريخ الكنائسي (كتاب ٧ عدد ٤٢) قائلاً: إنه فيما بين الأشياء المعتبرة جدًا الموردة في تواريخ الأجيال المتقدمة توجد خبرية السبعة النائمين، أي السبعة الشهداء القديسين الذين بعد أن استرحوا راقدين مدة نحو مائتي سنة في مغارة قريبة من مدينة أفسس، قد نهضوا من الرقاد سنة ٤٤٧ للمسيح. إذ كان وقتئذ متملكًا على المشرق الملك تاوضوسيوس الصغير. وكان أسقفا على مدينة أفسس أستافنوس الذي فيما بعد عُزل عن هذا الكرسي من المجمع الخكيدوني.

أما في أيامنا هذه فلم يعد يوجد من لا يرذل خبرية نيام هؤلاء السبعة الشهداء مدة هكذا مستطيلة، ثم نهوضهم من النوم. فالأمر الذي يظهر أنه حقيقي أكيد هو أنه من حيث أن القديسين المذكورين قد أغلق عليهم أو دفنوا في تلك المغارة أحياء أم موتى في زمن ولاية الملك داكيوس قيصر. وهكذا لم يعد لهم ذكر أو خبرية بالكلية، فبواسطة أعجوبة ما قد ظهرت أجسادهم ونقلت من مدفنهم (الذي حسب لهج المؤمنين العام هم كانوا راقدين أو نائمين فيه). وعلى هذه الصورة اعتبرت تلك الأجساد كأنها صودفت مستيقظة من نوم لذيذ كانت هي راقدة به، ثم إن الكردينال بارونيوس نفسه يرتأي هذا الرأي عينه بالنوع المقدم ذكره، أي ما أوردناه من أقوال الكردينال أورسي.

رابعًا: أما عن الألفاظ المدونة في القنداق تحت اليوم الرابع من شهر آب في الميناون لتذكار ظهور أجساد هؤلاء الشهداء وهذه هي كلماته: إن الذين أعرضوا عن أشياء العالم الفاسدة، واتخذوا المواهب الراهنة رقدوا فلبثوا خارج الغيار والفساد. وبعد ذلك نهضوا بعد عدة من السنين دافنين كفر المعاندين جميعه. فلأجل هذا نمدحهم بالتسابيح، أيها المؤمنون مسبحين المسيح دائمًا.

فنجيب أولاً أنه من الممكن أن يكون هذا القنداق مؤلفًا لتكريم ظهور الشهداء من أحد كاتبي التسابيح الفروضية الذين ظهروا في أجيال الكنيسة السابع والثامن والتاسع، حينما كانت دارجة في بعض كتب المؤرخين الخبرية الافتراضية على نيام الشهداء المذكورين ونهوضهم من النوم كما سبق القول آنفًا في أول العدد الثالث.

وهكذا سندا على تلك الخبرية مؤلف هذا القنداق قد كتب الألفاظ المقدم إيرادها عن رقودهم ونهوضهم.

ثم نجيب ثانيًا: وبالأحرى أن الألفاظ المذكورة هي استعارية معنوية لا حرفية الفحوى. وهذا النوع الاستعاري يوجد مستخدما بتكاثر في التسابيح المخصصة بتقريظات الشهداء والقديسين.

فإذا يمكن حسنًا تفسير معنى الألفاظ المدونة آنفًا: متهاونين بالموجدات كلها حتى بحياتهم الزمنية عينها حبًا بالمسيح، وإثباتًا لحقيقة إيمانهم به تعالى. واتخذوا المواهب الراهنة التي هي النعم الإلهية وأكاليل المجد السماوية مكافأة عن سفك دمائهم. ثم قد رقدوا فلبثوا خارج الغيار والفساد مستريحة أجسادهم في تلك المغارة كنائمة. وقد حفظها الله عديمة البلى تكريمًا لقديسيه هؤلاء الذين بعد ذلك نهضوا بعد عدة من السنين لا كأنهم موتى مدفونة أجسادهم في تلك المغارة بل كراقدين هناك الرقاد الطبيعي، وكأنهم بعد نحو مائتي سنة نهضوا كمن نوم لذيذ.

دافنين كفر المعاندين جميعه بانتصارهم على ضلال أولئك الوثنين الذين أعدموهم الحياة الزمنية من أجل كونهم مسيحيون. ظانين أنهم أبادوهم من الوجود في الوقت الذي هم فيه أحياء مالكون مع المسيح في مجده السماوي.

وهكذا بظهور أجسادهم على الصورة الموسى إليها قد أيدوا حقائق الديانة المسيحية، ووطدوا المؤمنين في رجاء القيامة العتيدة وفي الحياة الأبدية.

فإذًا من حيث أنه يمكن جيدًا تفسير ألفاظ القنداق المذكور بهذه المعاني، فلا يوجد فيها ما يضاد رأي المؤرخين المتأخرين السابق شرحه.

ثم فليضف إلى ذلك أن الكنيسة الجامعة كلها؛ أي ليس كنيستنا اليونانية فقط، بل الكنيسة اللاتينية أيضًا التي تصنع تذكار هؤلاء السبعة الشهداء المجيد في اليوم السابع والعشرون من شهر تموز قد كرمتهم عمومًا بتسمية شهداء حقيقيين قد ماتوا من أجل المسيح، وليس ناموا نومًا طبيعيًا بسيطًا الذي لا يسمى استشهادًا.

فلنتخذ لذواتنا نموذجًا مفيدًا لأنفسنا من الألفاظ عينها التي بها تمدح الكنيسة المقدسة هؤلاء السبعة الشهداء؛ أي أنهم أعرضوا عن أشياء العالم الفاسدة واتخذوا المواهب الراهنة.

فهذه هي الفلسفة الحقيقية التي بها العقل النطقي يعرف أن يميز الجوهر من العرض، والغاية من الوسايط، الكلي من الجزئي، والثابت من الزائل، والحقيقي من الباطل. وهذه التجارة العظيمة التي بها تشتري الأشياء الراهنة بالفاسدة والجواهر الكريمة بالقصرين والكنوز بالتراب والأكاليل الأبدية بمجاهدة وقتية والسماء بالأرض.

أفهل إننا لسنا حاصلين على عقول نطقية نظير ما حصـل عليهـا هـؤلا القديسين وأمثالهم لتمييز الأشياء المقدم ذكرها. أو هل أن الله الذي أيدهم بأنعامه الفائقة الطبيعية لا يهبنا هذه الأنعام متى التمسناها من جوده باتضـاع. ورجـا ومثابرة بعد أنه ﷺ قد وعدنا بأن يعطينا كل ما نطلبه منه.

فإذًا لماذا نحن لا نستعمل هذه الفلسفة التي كل منا من دون درس جهيد بل بكل سهولة يقدر أن يتفلسف بها.

ولماذا لا نصنع هذه التجارة التي لا يقتضي لها لا رأس مال، ولا مخاطرة البحور والطرقات.

فمخصلنا (فمخلصنا) **حين سأله ذلك الشاب ماذا يصنع لـيرث الحيـاة الدائمة لم يجبه تعالى بشيء آخر سوى بقوله:** إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا[41].

فإذا لا يُطلب منا شيء آخر لامتلاك السعادة الأبدية إلا حفظ الوصايا، التي مع مساعدة نعمة الله نقدر على حفظها كافة. ومن يقول الخلاق فهو أراتيكي.

ثم إن نعمة الله المساعدة إيانًا على حفظها لا تُنكـر علـى مـن يلتمسـها كالواجب، كما يعلّمنا الإيمان عينه حقًا.

***

ومن الكتاب نفسه؛ **كتاب الكنز الثمين في أخبـار القديسـين**، تـأليف مكسيموس مظلوم بطريرك طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين، المجلد الثالث، أورد في تذكار يوم ٤ آب، ص (٣٧٨) ما يلي:

اليوم الرابع (من شهر آب)

---

[41] متى ١٩: ١٧.

وفيه تذكار وجود أجسام القديسين الشهداء السبعة

الفتيان الذين بأفسس

إننا إذ كنا تحت اليوم الثاني والعشرين من شهر تشرين الأول قد تكلمنا عما يخص هؤلاء السبعة القديسين. ليس فقط نظرًا إلى استشهادهم. بل أيضًا إلى وجود أجسامهم سنة ٤٤٧ تحت ولاية الملك ثاوضوسيوس الصغير.

فلا يلزم أن نكرر ههنا ما قلنا هناك.

التعقيب:

١- تتشابه القصة عند الروم الكاثوليك وتتفق إلى حد كبير مع النص السرياني لها. من حيث زمن وقوع أحداثها (رقودهم في زمن ملك مضطهد، وبعثهم في زمن ملك عادل) والمكان الذي شهد أحداثها (مدينة أفسس، وكهف قريب منها)، وعدد الفتية، وتدوين أسماؤهم على لوح ووضعه في مدخل الكهف، . . إلخ.

وقد قازت هذه الجزئيات مع أحداث قصة أصحاب الكهف والرقيم في القرآن الكريم، أثناء استعراضنا لقصة أهل الكهف في المصادر السريانية. لذا لا يلزم التكرار هنا.

٢- ولكن السيد مكسيموس مظلوم بطريرك الروم الملكيين الكاثوليكيين قد أثار نقطة جديرة بالاهتمام والتأمل وهي:

". . . إن الكنيسة الجامعة كلها. . . قد كرمتهم عمومًا بتسميتهم شهداء حقيقيين قد ماتوا من أجل المسيح، وليس ناموا نومًا طبيعيًا بسيطًا الذي لا يسمى استشهاد".

الثالث من هذا الكتاب:

٣- ومن الملاحظ، أن بطريرك الروم الكاثوليكيين في كتابة (الكنز الثمين في أخبار القديسين) لا يشير إلى الفتية فروا بدنيهم إلى الكهف؛ لأنهم مؤمنين بـأن السيد المسيح ربهم، أو أن المسيح ابن الله، أو أنه رب السموات والأرض. كما أشار إليه بطريرك السريان الأرثوذكس صراحة في كتابه (أهل الكهف في المصادر السريانية) أثناء عرضه لتعريب القصة من النص السرياني.

* * *
* *
*

الفصل السادس
في
أهل الكهف في المصادر القبطية

كتب القس/ يوسف تادرس الحومي في كتابه (سيرة أهل الكهف بين المصادر السريانية والرواية القبطية) ط٢، ص (١٢- ١٦) ما يلي:

[كما قلنا فلقد ذكرت الكنيسة القبطية هذه القصة المعجزية في كتبها، وغير هذا رتبت لهم عيدًا سنويًا مثل سائر أعياد القديسين والشهداء الآخرين، ويقع هذا العيد في اليوم العشرين من الشهر القبطي "مسرى" (٢٠ مسرى= ٢٦ آب أغسطس).

وفي هذا اليوم تتلى قصتهم في جميع الكنائس، والمسجلة في سجل القديسين اليومي المعروف "بالسنكسار"، وهو الكتاب الذي سجلت فيه الكنيسة سيرهم. هذا. و لم ترد القصة في تواريخ البطاركة المعاصرين لها. فالبطريرك القبطي المعاصر لهذه القصة التي وقعت في عيد الإمبراطور ثيودوسيوس (٤٠٨- ٤٥٠) هو ديسقورس الأول (٤٤٣- ٤٥٧) ولعل هذا بسبب جهاد القديس ديسقورس في مكافحة البدعة الأوطاخية التي استحوذت على كل الاهتمام؛ لأنها أكبر من أي بدعة أخرى ظهرت في هذا الوقت، كإنكار قيامة الموتى التي ظهر ضلالها بعد انبعاث أهل الكهف؛ فلذا كان التركيز على محاربة هذه البدعة وقتها؛ وربما لم تحظ القصة بالتسجيل لهذا السبب.



وربما لأنه سير البطاركة لم تدون في وقتهم، وإنما بعدهم بقرون (كتب ساويرس بن المقفع سير البطاركة في القرن العاشر). وقد اكتفوا بتسجيلها في سجل الشهداء والقديسين اليومي وهو أعظم تكريم لهم. فإلى الآن هناك آلاف الشهداء والقديسين لم يسجلوا في هذا الكتاب على الرغم من شهرة بعضهم. وعدم تسجيلهم ليس شرطًا ضرورياً لقداستهم. ويكفي أن أسمائهم مكتوبة في سفر الحياة.

أولاً: نورد هنا ما يقال في يوم عيدهم في العشرين من مسرى في السكنسار المتداول. في هذا اليوم تعيد الكنيسة بتذكار شهادة الفتيان السبعة القديسين.

ومن أمرهم أنهم كانوا أخوة بالجسد قد ولدوا بمدينة أفسس وهذه أسماؤهم: مكسيميانوس ومالخوس ومرتينانوس وديونيسيوس ويوحنا وسرابيوس ثم قسطنطينوس. فهؤلاء الفتيان دخلوا الجندية ثم صاروا رقباء على الخزينة الملوكية في عهد تملك داكيوس. ولما أثار هذا الملك عبادة الأوثان وأمر بعذاب المسيحيين التجأ هؤلاء القديسون إلى كهف خوفًا من أن يوجدوا في خطر الضعف البشري فينكروا السيد المسيح. فعلم الملك بذلك وأمر الجند بسد باب الكهف عليهم.

وهكذا أسلم هؤلاء أرواحهم الطاهرة ونالوا إكليل الشهادة نحو سنة ٢٥٢م. وبعد نحو مائتي سنة أراد الله أن يكرمهم كعبيده الأمناء فأظهر أجسادهم عارية من الفساد بواسطة رؤيا سماوية على يد أسقف تلك المدينة وفي عهد تملك الملك ثاودسيوس الصغير وذلك كان نحو سنة ٤٤٧م. وقد عرفوا ذلك وتحققوا زمان ومكان هؤلاء القديسين من ذلك اللوح النحاسي المكتوب عليه في أيام داكيوس قيصر. ومن قطعة نقود وجدوا عليها صورته. بركة صلاتهم فلتكن معنا ولربنا المجد دائمًا.

ثانيًا: ما ورد في السنكسار العربي اليعقوبي Synaxair Arabe Jacobite طبعة رينيه باسيه Rene Basset في باريس ١٩٠٩م ضمن مجموعة Patrologia Orientalis تحت اليوم العشرين من شهر مسرى:

"في هذا اليوم تنيحوا السبعة فتية الذين من أفسس، فلما أن كان في زمان داكيوس المنافق كانوا هؤلاء من أجناد الملك، وكان قد رتبهم على جميع خزائنه، فلما أثاره عبادة الأصنام فغمز على هؤلاء القديسين فمسكوا وحبسوا، واتفق أن الملك أراد له المضى بعد المواضع فأطلق سبلهم إلى أن يعود ظنًا منه أن ينثنوا عن رأيهم، فلما خرج من المدينة رفضوا هؤلاء عن الجندية لئلا يسجدوا للأصنام المظلمة، ثم مضوا إلى كهف في الجبل وسدوا عليهم المغارة وناموا، وكان معهم فضة من فضة عليهم اسم داكيوس، وكان واحد منهم يبكر كل يوم يدخل إلى البلد، فيشتري لهم ما يأكلوه ويستمع لهم الأخبار.

ولما بلغهم أن داكيوس وصل سدوا عليهم باب المغارة وأن بعض الأجناد المؤمنين كان عرف موضعهم فانتظرهم يدخلوا بعد مجيء الملك فلم يدخلوا فأتى إلى المكان فوجدهم قد سدوا عليهم من داخل فظن أنهم قد ماتوا وأخذ لوح نحاسي وكتب فيه بالسكين سيرتهم ثم أرماه من شق داخل المغارة. وأما القديسين فغمرهم الحزن فناموا بأمر الله ثلاثمائة اثنتين وسبعين سنة. ومات داكيوس وملكت بعده ملوك كثيرة إلى زمان ثاودسيوس الملك في ثمانية وثلاثين سنة من ملكه. قالوا قوم إن ليس تكون قيامة وتبعهم جماعة كثيرة فأشار الرب إظهار الحق وإثبات القيامة وأيقظ القديسين، فأعطوا بعضهم من الفضة التي معهم لبعض ليمضي يشتري لهم شيئًا يأكلوه ويكشف لهم الأخبار.

فلما دخل المدينة تغير عليه حالها فأبصر صلبان على أبواب المدينة. وعلى أسوارها والناس يحلفوا باسم المسيح، فتقصى من واحد أليس هذه أفسس؟ فأجابه:

نعم. فاخرج الفضة التي معه لأحد الباعة، فوجدها البياع غير سكة ذلك الزمان فمسكه وربطه وقال له: أنت مطالبي، فالتم عليهما خلق كثير فاستخبروه من أين هو فأجابهم: أنا من هذه المدينة. فقالوا له: تعرف من فيها؟ فقال: فلان وفلان أقوام لم يبق منهم أحد، فخرجوه وزحفوا به المدينة فاتصل الخبر بالأسقف أنبا تاودسيوس، فاستحضروا الرجل فعرفهم قضيته وأنهم سبعة وهم رقود في الكهف، ثم خرج الأسقف والملك والشعب إليهم فوجدوهم جلوس واللوح المكتوب مرمي في المغارة.

فقرأوا التاريخ فوجدوهم من أيام داكيوس فمجدوا الله كثيرًا والذين كانوا غير مصدقين آمنوا بالقيامة، ولما خاطبوهم السبعة بهذا الكلام رقدوا وأسلموا نفوسهم بيد الرب، فعمل الملك لهم توابيتًا مذهبة وكفنهم بثياب فاخرة، ووضعوهم في المغارة وسدوا الباب عليهم وهذه أسمائهم: (مكسيمانوس Maksimyanous Maximiem تاموالنجيوس Tamoulendjyous مرديوس Mardyous يوحنا Youhanna (Jean) قسطنطين (Qostantin) Costantin أنطونيوس (Antounyous) Antoine ديونسيوس (Dyounousyous) Denys شفاعتهم معنا آمنين. . . "

وفي حاشية ص (١٦) كتب:

ما أوردناه هنا من نصوص السنكسارات القديمة المختلفة منقولة عن أقدم المصادر. ويؤسفني أن أسجل أن إحدى المكتبات القبطية الشهيرة نشرت السنكسار، وعدلت كثيرًا في سيرة أهل الكهف حتى شوهتها؛ ظنا منها أنها قصص غير مسيحية. والأمر للجنة الطقوس في المجمع المقدس لدرأ هذا التشويه.

ن الملاحظ: أن النص القبطي للقصة لا يشير إلى أن الفتية فروا بـــدنيهم إلى الكهف؛ لأنهم مؤمنين بأن السيد المسيح ربهم، أو أن المسيح ابن الله، أو أنه رب السموات والأرض. كما هو مشار إليه صراحًا في النص السرياني للقصة.

فما هو مسجل في السِّنكسار- سجل القديسين اليومي- للكنيسة القبطية، في هذا الشأن، هو: (التجأ هؤلاء القديسون إلى كهف خوفًا من أن يوجدوا في خطر الضعف البشري فينكروا السيد المسيح).

فجملة (فينكروا السيد المسيح) لا توضح صفة هذا الإنكار، فهي تحتمل عدة معاني. فهل المقصود بها أن الفتية خافوا من أن ينكروا السيد المسيح كرب لهم، أو كابن لله، أو كرب السموات والأرض؟

أم أن ينكروا المسيح عليه السلام كإنسان ورسول من الله يـــدعوا إلى عبـــادة الله الواحد الأحد؟

* * *
* *
*

الفصل السابع
في
كيف مات الفتية

كتب القس/ يوسف تادرس الحومى في كتابه **(سيرة أهل الكهف بين المصادر السريانية والرواية القبطية)** ص (٢٤- ٢٥) ما يلي:

"في المصادر السريانية توضح أن الموت كان موتًا طبيعيًا (. . . وبينما كانوا يتجاذبون أطراف الحديث استوالى عليهم النعاس، وغشاهم سبات هنيء، رقدوا رقاد الموت. . .) **والسنكسار القبطي أوضح غير ذلك**(التجأ هؤلاء القديسون إلى كهف. . . فعلم الملك وأمرالجند بسد باب الكهف عليهم. . . وهكذا أسلم هؤلاء أرواحهم الطاهرة).

وبهذا نرى أن الموت كان نتيجة سد باب الكهف عليهم، ليموتوا بهذه الطريقة عطشًا وجوعًا وخنقًا، نتيجة عدم تجديد الهواء، وعدم وصول طعام أو شراب. . . وهم لهذا كانوا مستعدين أن يبذلوا أنفسهم في سبيل إيمانهم المسيحي.

أما إن كان موتًا طبيعيًا ثم سد عليهم الكهف فلا لزوم لاعتبارهم شهداء وقديسين؛ لأن الإكليل يناله الإنسان على جهاده وتضحيته بحياته في سبيل إيمانه بالمسيح. وليس على خلاف ذلك في حالة اعتباره شهيد.

وبولس الرسول قد أوضح بعض الآلام التي تصيب المؤمن[٤٢] ولا يكون الإنسان شهيدًا إلا ببذل حياته أو بسفك دمه[٤٣] ولهذا كرمهم الله ببعثهم، فأرجح هنا الرواية السنكسارية].

***

والسيد مكسيموس مظلوم بطريرك الروم الملكيين الكاثوليكيين في كتابه (**الكنز الثمين في أخبار القديسين**) مجلد (١) تذكار يوم ٢٢ تشرين الأول ص (٢٧٨- ٢٨٢)، أورد ما يلي:

"**أولاً**: أن هؤلاء القديسين الشهداء السبعة الأفسسين قد كانوا أخوة بالجسد.

وقد كرمتهم الكنيسة الجامعة كشهداء حقيقيين، وتحت هذه الصفة الشريفة يُمدحون في الخدم التي في الفرض يوم تذكار استشهادهم الحاضر.

ثانيًا: وأما نوع استشهاد هؤلاء القديسين السبعة فليس هو بمعروف؛ لأن **الأعمال جهادهم لم توجد مدونة في التواريخ الكنايسية المدققة**. بل إن الشيء المؤكد عنهم هو أن استشهادهم قد تم كما ذكرنا آنفًا في زمن الملك داكيوس حذاء مدينة أفسس، حيث وجدت فيما بعد أجسادهم في مغارة ليست بعيدة من هذه المدينة.

فالبعض من الكتبة الكنائسيين يرتأون بأنه إذا كان هؤلاء القديسون السبعة مختفين في تلك المغارة هربًا من الاضطهاد. قد عرف أمرهم المغتصب وأرسل فأغلق عليهم باب المغارة بصخور عظيمة. **وهكذا هم ماتوا ضمنها**.

---

(42) عبرانيين ١١: ٣٠+.

(43) الأعمال ٢٢: ٢٠.

وغيرهم يوردون أن الشهداء السبعة حقًا قتلوا من أجل الإيمان في مدينة سس. وبعد موتهم نقلت أجسادهم ودفنت في المغارة الموسى إليها.

وآخرون يظنون أن هؤلاء القديسين قد حبسوا ذواتهم أحياء، باختبائهم في المغارة المذكورة ليموتوا برضائهم هربًا من أن يوجدوا في خطر الضعف البشري تحت العذابات القاسية، التي كانت يتكبدها المسيحيون في ذاك الاضطهاد الوحشي. ومن جرايها قد نكر المسيح كثيرون قل ما يكون في الظاهر لينجو منها.

ثالثًا: ثم فليضف إلى ذلك أن الكنيسة الجامعة كلها- أي ليس كنيستنا اليونانية فقط بل الكنيسة اللاتينية أيضًا- التي تصنع تذكار هؤلاء السبعة الشهداء معًا في اليوم السابع والعشرون من شهر تمرز قد كرمتهم عمومًا **بتسمية شهداء معلنين قد ماتوا من أجل المسيح، وليس ناموا نومًا طبيعيًا بسيطًا الذي لا يسمى استشهادًا.**

* * *
* *
*


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT


الفصل الثامن

في

النصارى والمسيحيين

في كتاب التوراة هذا النص عن محمد ﷺ: "يُقيم لك الرب إلهك نبيًا، من وسطك، من إخوتك. مثلي. له تسمعون. حسب كل ما طلبت الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا: لا أعود اسمع صوت الرب إلهي، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضًا لئلا أموت قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا.

أقيم لهم: نبيا، من وسط إخوتهم. مثلك، واجعل كلامي في فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه وأما النبي الذي يطغي فيتكلم باسمي كلامًا لم أوصه أن يتكلم به والذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي.

وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب فما تلكم به النبي باسم الرب و لم يحدث و لم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي؛ فلا تخف منه"(٤٤).

ويطلق اليهود على كل ١- نبي ٢- أو عالم ٣- أو ملك. لقب "مسيح".

و "مسيح" تنطق "مَسِيًا" لك قول كاتب الإنجيل: "قد وجدنا مسيا الذي تفسيره المسيح"(٤٥).

---

(٤٤) تث ١٨: ١٥- ٢٢.

والمسيح على الحقيقة: هو المسبح بزيت أو بدهن مقدس. وهو على المجاز: المصطفى من الله لأداء رسالة مقدسة سامية. وقد أطلقه اليهود على النبي الأمي الآتي على مثال موسى. الذي هو في اعتقادنا محمد رسول الله ﷺ، وهم لا يصرحون بأن المسيح المنتظر محمد، ويزعمون: أن المسيح المنتظر نبي سوف يظهر من نسل داود، أو من يوسف الصديق عليه السلام، وهم إلى هذا اليوم في انتظاره.

عيسى عليه السلام مسيح بحسب لسانهم لأنه منهم، ونبي مرسل من الله. ولكن ليس هو "المسيح" وليس هو "النبي" هو "مسيح" وهو "نبي"، وقد بشَّر بمجيء محمد من بعده بلقب "المسيح" لا بلقب "مسيح". وأنبياء بني إسرائيل كتبوا نبوءات عن محمد ﷺ بلقب "المسيح" ومنهم حَبَقُّوق النبي في نبوءته عن النبي الآتي من فاران. ومنهم دانيال الذي لقبه بالمسيح الرئيس.

ومن كلام المسيح عيسى عليه السلام عن محمد بلقب "المسيح": "حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون فأنهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم ويحبون المتكأ الأول في الولائم والمجالس الأولى في المجامع والتحيات في الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي وأما أنتم فلا تدعوا سيدي لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعًا إخوة ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لان أباكم واحد الذي في السماوات ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح وأكبركم يكون خادمًا لكم"[46].

---

[45] يو ١: ٤١.

[46] متى ٢٣: ١- ١١.

ولما بشر به عليه السلام بلقب "المسيح" اضطهده اليهود، وشتموه بقولهم: "إنك سامري، وبك شيطان" ولقبوه بلقب "هانصري" أي المحتقر أو المنبوذ. وقد رد عليهم بافتخاره بهذا اللقب نكاية فيه، فغلب عليهم وعلى أتباعه إلى هذا اليوم. وعرفوا النصارى.

وقد أرسل المسيح رسلاً من طرفه إلى كل البلاد التي فيها يهود، أمرهم بالانطلاق إلى الأمم للتبشير بمجيء محمد ﷺ الذي من ألقابه عندهم لقب "ابن الإنسان" المأخوذ من الأصحاح السابع من سفر دانيال:

١- ففي الأصحاح العاشر من إنجيل متى: "هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا لإلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السماوات اشفوا مرضى طهروا برصا أقيموا موتى اخرجوا شياطين مجانا أخذتم مجانا أعطوا لا تقتنوا ذهبًا ولا فضة ولا نحاسًا في مناطقكم ولا مزودا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا لأن الفاعل مستحق طعامه وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق وأقيموا هناك حتى تخرجوا وحين تدخلوا البيت سلموا عليه فان كان البيت مستحقًا فليأت سلامكم عليه ولكن إن لم يكن مستحقًا فليرجع سلامكم إليكم ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجًا من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم الحق أقول لكم ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالا مما لتلك المدينة ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام.

ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم وللأمم فمتى أسلموكم

فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى فإني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان ليس التلميذ أفضل من المعلم ولا العبد أفضل من سيده يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده إن كانوا قد لقبوا رب البيت بعلزبول فكم بالحري أهل بيته فلا تخافوهم لأن ليس مكتوم لن يستعلن ولا خفي لن يعرف الذي أقوله لكم في الظلمة قولوه في النور والذي تسمعونه في الأذن نادوا به على السطوح ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم.

أليس عصفوران يباعان بفلس وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة فلا تخافوا أنتم أفضل من عصافير كثيرة فكل من يعترف بي قدام الناس اعترف أنا أيضًا به قدام أبي الذي في السماوات ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضًا قدام أبي الذي في السماوات.

لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض ما جئت لألقي سلاما بل سيفًا فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكهنة ضد حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني من وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من أجلي يجدها من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل

الذي أرسلني من يقبل نبيًا باسم نبي فاجر نبي يأخذ ومن يقبل بارا باسم بار فاجر بار يأخذ ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كاس ماء بادر فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم أنه لا يضيع أجره"[٤٧].

٢- وفي آخر إنجيل متى: "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" أي دهر شريعة التوراة.

***

ومن بلاد الأمم التي بشر فيها رسل المسيح "أفسوس" قرية أهل الكهف، "وإنطاكية" قرية أصحاب القرية الذين وردت قصتهم في سورة يس.

وكان المبشرون يعقدون اجتماعًا لهم في كل قرية، في يوم الأحد من كل أسبوع. ويسمونه "مجمع يوم الرب" وكان اجتماعهم لئلا ينسوا معارك ساعة يوم الرب. فيهلكوا. وكانوا يصلون الصلاة الجامعة مع اليهود في يوم السبت، ويقيمون شعائر التوراة؛ لأن المسيح لم ينسخها. ولم يكن من فرق بينهم وبين اليهود إلا في إنكار اليهود لمحمد، وفي اعتراف النصارى به. أما الشريعة فإن الكل كان يعمل بها.

وأهل الكهف من النصارى اليونانيين، الذين آمنوا عن طريق رسل رسل رسل عيسى ﷺ. وقد طُلب منهم أن يأكلوا مما ذبح للأصنام، فأبوا أن يأكلوا مما ذبح للأصنام، وأبوا أن يعبدوا الأصنام.

وفي مدة موقم في الكهف؛ عقد النصارى في سنة ٣٢٥م مجمعًا بأمر من الرومان؛ ليتفقوا فيه على إنكار محمد ﷺ كما ينكره اليهود. وليقولوا: إن "المسيح

([47]) متى ١٠: ٥- ٤٢.

الرئيس" ليس محمدًا- كما قال عيسى عليه السلام وإنما عيسى في مجيئه الثاني المتزامن مع يوم القيامة العامة من الأموات.

ولا اتفقوا وقالوا؛ غَيَّر الرومان اسمهم من "النصارى" إلى "المسيحيين" أي أنهم صاروا أتباع "المسيح الرئيس" الذي هو في نظرهم عيسى لا محمدًا رسول الله.

وعلى ذلك نشر الرومان المسيحية في العالم؛ ليسدوا باب النبوة في وجه محمد ﷺ.

وليس في القرآن الكريم أن عيسى بن مريم هو مسيح اليهود المنتظر. وإنما فيه أنه مسيح كسائر مسحاء بني إسرائيل، وأنه نبي كسائر أنبيائهم. الذين جاء عنهم في كتاب التوراة: "لا تمسوا مسحائي، ولا تؤذوا أنبيائي".

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ولا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ ورُسُلِهِ ولا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ واحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ وكَفَى بِاللَّهِ وكِيلاً (١٧١) لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ ولا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ومَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ ويَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ويَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا واسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ولا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ ولِياً ولا نَصِيراً﴾[٤٨].

البيان:

لم يقل المسيح بن مريم حتى يكون المسيح مبتدأ، وعيسى بن مريم خبر هذا المبتدأ. وإنما قال المسيح هذا هو رسول الله. فرسول الله خبر المبتدأ. الذي هو جملة

[48] النساء: ١٧١- ١٧٣.

المسيح عيسى بن مريم. ومثل ذلك: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾[49] فاسمه مبتدأ. وجملة المسيح عيسى بن مريم خبر هذا المبتدأ. وحقًا هو رسول الله. وقد جاء في الأناجيل المقدسة عند المسيحيين أنه رسول الله. ومن ذلك:

"تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال أيها الأب قد أتت الساعة مجد ابنك ليمجدك ابنك إذ أعطيته سلطانًا على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفك أنت الإله الحقيقي لأعمل قد أكملته المسيح الذي أرسلته.

أنا مجدتك على الأرض العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته والآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم كانوا لك وأعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك أن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم وهم قبلوا وعلموا يقينًا أني خرجت من عندك وآمنوا إنك أنت أرسلتني.

من أجلهم أنا أسأل لست أسأل من أجل العالم بل من أجل الذين أعطيتني لأنهم لك وكل ما هو لي فهو لك وما هو لك فهو لي وأنا ممجد فيهم ولست أنا بعد في العالم وأما هؤلاء فهم في العالم وأنا آتي إليك أيها الأب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحدا كما نحن حين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم في اسمك الذين أعطيتني حفظتهم و لم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب أما الآن فإني آتي إليك وأتكلم بهذا في العالم ليكون لهم فرحي كاملا فيهم أن قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير.

---

(49) آل عمران: ٤٥.

ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم قدسهم في حقك كلامك هو حق كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم ولأجلهم أقدس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضًا مقدسين في الحق ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضًا من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الأب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكملين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني أيها الأب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أن لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم أيها الأب البار إن العالم لم يعرفك أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أن فيهم"[٥٠].

ثم قال عن ﴿المَسِيحُ﴾ المشهور في العالم. الذي قال عنه موسى: "يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون": ﴿لَن يَسْتَنكِفَ المَسِيحُ أن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ﴾[٥١] وصف[٥٢] محمدًا ﷺ بالتواضع ﴿ولا المَلائِكَةُ المُقَرَّبون﴾ منه. وهم أصحابه وأنصاره وأتباعه؛ لن يستنكفوا أن يكونوا متواضعين لله. كما قال عنهم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٥٣] والملائكة ههنا بمعنى الأصحاب والأنصار والأتباع؛ لأن موسى رسول الله لما تلكم عن النبي أنه سيظهر من برية

([50]) يوحنا: ١٧.

([51]) النساء: ١٧٢.

([52]) راجع كتاب "المسيًّا المنتظر نبي الإسلام"- نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة.

([53]) الفتح: ٢٩.

فاران. قال ما نصه[٥٤]: "وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته. فقال: أقبل الرب من سيناء، وأشرف عليهم من سَعِير، وتألق في جبل فاران. جاء محاطًا بعشرات الألوف من الملائكة، وعن يمينه يُومض برق عليهم. حقًا إنك أنت الذي أحببت الشعب، وجميع القديسين في يدك، ساجدون عند قدميك، يتلقون منك أقوالك، التي تشتمل عليها التي أوصانا بها موسى؛ لتكون ميراثًا لجماعة يعقوب"[٥٥] هذا هو النص اليوناني. والنص العبراني فيه "القديسيون" بدل كلمة "الملائكة" والمعنى واحد.

***

ومن القرى التي آمنت بالمسيحية قرية "أفسوس" التي كان فيها كهف الفتية، الذين امتنعوا عن ما ذبح للأوثان. ولما أحياهم الله من الموت، وجدوا أهلها يجهرون باسم المسيح. اعتقدوا أنه هو المسيح عيسى عليه السلام صاحب الدعوة التي كانوا عليها، وأن الناس آمنت بمحمد وينتظرونه. ولم يدر في خلدهم أنهم غيروا محمدًا بعيسى. وجعلوه هو "المسيح".

وقد علم المسيحيون الأرثوذكس والكاثوليك- وهما حزبا المسيحية- أن الله أحياهم؛ ليعلموا أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها.

وقد كتبوا قصتهم على أن أهل الكهف مسيحيون، لا نصارى.

***

والحق: أنهم كانوا نصارى.

([54]) ترجمة أخرى: "وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبال فاران. وآتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه في يدك. وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك، بناموس أوصانا موسى ميراثًا لجماعة يعقوب" تث: ٣٣: ١- ٤.

([55]) تث ٣٣: ١- ٤.

ولا أحد من اليهود ولا من النصارى ولا من المسيحيين ولا من الصابئين اتباع يحيى عليه السلام، الذين أجبروا على الدخول تحت اسم المسيحية. لا أحد من هؤلاء ينكر البعث من الأموات، ولا أحد منهم يرتاب في ساعة هذا البعث. ولا أحد منهم ينكر يوم الرب، ولا ساعة المعركة فيه. **وإنما الإنكار هو في استبعاد هلاكهم على أيدي النبي الأمي الآتي وأتباعه فأحيا الله أهل الكهف؛ لإزالة الريب في أمر ساعة هلاكهم في يوم الرب، ولبيان أن استبعادهم هلاكهم في غير محله.**

وقد حكى الله عن شكهم في هزيمتهم على يد المسلمين في سورة هود. فقال: **﴿ولَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾**[56].

يقولون: ما يحبسه؟ استهزاء بنصرة النبي عليهم في آخر أيام الرومان المعدودة بمملكتهم مع الممالك الأربعة في سفر دانيال. وهي بابل وفارس واليونان والرومان.

والذين كتبوا قصتهم قالوا: إن الساعة هي ساعة البعث من الأموات، وقالوا: إن الإمبراطور الروماني الذي خرجوا في عهده كان رجلاً تقيًا. وقولهم باطل؛ لأنه لو كان رجلاً تقيًا لسمح للمسيحيين بأن يرجعون إلى النصرانية، ويبشروا بمجيء محمد ﷺ.

***

ومن نصوص الإنجيل عن بعث الأموات:

"وجاء إلى كفر ناحوم، وإذ كان في البيت سألهم: بماذا كنتم تتكالمون فيما بينكم في الطريق. فسكتوا؛ لأنهم تحاجوا في الطريق بعضهم مع بعض في من هو

(56) هود: ٨.

أعظم، فجلس ونادى الاثني عشر، وقال لهم: إذا أراد أحد أن يكون أولاً؛ فيكون آخر الكل وخادمًا للكل فاخذ ولدًا، وأقامه في وسطهم، ثم احتضنه وقال لهم: من قبل واحدًا من أولاد مثل هذا باسمي يقبلني، ومن قبلني، فليس يقبلني أنا، بل الذي أرسلني.

فأجابه يوحنا قائلاً: يا معلم رأينا واحدًا يخرج شياطين باسمك، وهو ليس يتبعنا فمنعناه؛ لأنه ليس يتبعنا فقال يسوع: لا تمنعوه؛ لأنه ليس أحد يصنع قوة باسمي ويستطيع سريعًا أن يقول علي شرًا؛ لان من ليس علينا فهو معنا؛ لأن من سقاكم كاس ماء باسمي لأنكم للمسيح، فالحق أقول لكم: إنه لا يضيع أجره.

ومن أعثر أحد الصغار المؤمنين بي فخير له لو طوق عنقه بحجر رحى وطرح في البحر، وإن أعثرتك يدك فاقطعها خير لك أن تدخل الحياة، اقطع من أن تكون لك يدان وتمضي إلى جهنم، إلى النار التي لا تطفأ، حيث دودهم لا يموت، والنار لا تطفا، وإن أعثرتك رجلك فاقطعها خير لك أن تدخل الحياة أعرج من أن تكون لك رجلان وتطرح في جهنم، في النار التي لا تطفأ، حيث دودهم لا يموت، والنار لا تطفأ. وإن أعثرتك عينك فاقلعها خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح في جهنم في النار، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ؛ لأن كل واحد يملح بنار، وكل ذبيحة تملح بملح، الملح جيد، ولكن إذا صار الملح بلا ملوحة فبماذا تصلحونه، ليكن لكم في أنفسكم ملح، وسالموا بعضكم بعضًا"[٥٧].

لاحظ:

قوله: "لأن من سقاكم كأس ماء باسمي؛ لأنكم للمسيح".

([57]) مرقص: ٩: ٣٣- ٥٠.



في ترجمة: "باسم أنكم للمسيح".

* * *
* *
*

أبـو سلــوم المعتـــزلي

الفصل التاسع

في

﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾

الوعد في التوراة والإنجيل والقرآن هو: أن الله وعد إبراهيم عليه السلام بأن تتبارك الأمم في نسل إسماعي ابنه الوحيد بشريعة محمد ﷺ، ويدل على ذلك من التوراة: أن الله لما فدى الابن الوحيد بكبش عظيم. ورأى الناس مقدار محبة إبـراهيم لله. قال له: "وقال: بذاتي أقسمت يقول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا الامر و لم تمسك ابنك وحيدك، أباركك مباركة وأكثر نسلك تكـثيرًا كنجـوم السـماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه، ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي"(٥٨).

أي أن الله حلف لإبراهيم بأنه سيباركه، وسيكثر نسله من الابن الوحيـد، وهذا النسل الوحيد سيفتح بلاد الأمم وسيملك عليها "ويرث نسلك باب أعدائه" ولإرث لنشر شريعة بها تتبارك الأمم. و لم يأت من إسماعيل بشريعة غير محمد ﷺ، و لم يكن لبني إسماعيل ملك من قبله.

وهذا هو أول كلام في الوعد بمحمد ﷺ، الذي سيأتي ليحقق إرث الابـن الوحيد لمدن أعدائه، ومعنى أنه سيرث نسله باب أعدائه: أنه سيحارب وسيغلب وسينتصر على اليهود والأمم. وقد وضح موسى عليه السلام أنه سيحارب وسـيغلب

---

(58) تك: ٢٢: ١٦- ١٨.

وسينتصر على اليهود والأمم في الأيام الأولى لظهوره "ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي؛ تُباد من الشعب".

وعلى ذلك يكون الوعد مكونًا من قسمين: القسم الأول: بعثُ محمد؛ والقسم الآخر: انتصار محمد على اليهود والأمم في يوم الرب. وهذا الوعد بقسميه هذين مكتوبًا عنه في التوراة وفي الإنجيل وفي القرآن، لكن اليهود حرفوه إلى إسحق الابن الثاني لإبراهيم. وهم يعلمون أن الوعد تم في الابن الوحيد من قبل ولادة إسحق. ففي المزمور المئة والخامس: "احمدوا الرب ادعوا باسمه عرفوا بين الأمم بأعماله، غنوا له رنموا له انشدوا بكل عجائبه، افتخروا باسمه القدوس لتفرح قلوب الذين يلتمسون الرب، اطلبوا الرب وقدرته التمسوا وجهه دائمًا، اذكروا عجائبه التي صنع آياته وأحكام فيه يا ذرية إبراهيم عبده يا بني يعقوب مختاريه، هو الرب إلهنا في كل الأرض أحكامه، ذكر إلى الدهر عهده كلامًا أوصى به إلى ألف دور، الذي عاهد به إبراهيم وقسمه لإسحق، فثبته ليعقوب فريضة ولإسرائيل عهدًا أبديًا قائلا: لك أعطي أرض كنعان حبل ميراثكم"[٥٩].

وفي إنجيل لوقا: "كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر خلاص من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا؛ ليصنع رحمة مع آبائنا ويذكر عهده المقدس القسم الذي حلف لإبراهيم أبينا أن يعطينا أننا بلا خوف منقذين من أيدي أعدائنا نعبده بقداسة وبر قدامه جميع أيام حياتنا"[٦٠].

وفي الرسالة إلى العبرانيين: "فإنه لما وعد الله إبراهيم إذ لم يكن له أعظم يقسم به أقسم قائلاً: إني لا باركنك بركة، وأكثرنك تكثيرًا، وهكذا إذ تأنى نال الموعد

---

(59) مز ١٠٥: ١- ١١.

(60) لوقا: ١: ٧٠- ٧٥.

فان الناس يقسمون بالأعظم، ونهاية كل مشاجرة عندهم لأجل التثبيت هي القسم"[61].

والوعد لا يكون لصلاح النسل أو لفساده، وإنما يكون للمقسم له؛ لصلاحه.

فإبراهيم لما أقسم الله له؛ أقسم له لأنه سمع لقوله. ولا بد أن يفي بما أقسم به. فإذا ظهر النبي واتبعه من النسل صالحون، فإنهم ينتفعون بثمرات الوعد، وإذا ظهر ورفضه من النسل أشرار؛ فإنهم يحرمون من ثمرات الوعد. وبنوا إسماعيل كلهم كانوا أبرار وصالحين؛ لقول إشعياء عنهم: "وشعبك كلهم أبرار" وما يزالون إلى اليوم أبرار وصالحون. وفي القرآن عنهم: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[62].

أما المكلفون بالإيمان به من غير النسل وهم اليهود والأمم: فإن من يؤمنون به منهم يتساوون مع النسل في ثمرات الوعد، ويكون جميع المؤمنين أخوة. وإن من لا يؤمنون به منهم يهلكون هلاكًا رديئًا كهلاك الكفار بنوح عليه السلام.

ويقول بولس في رسالته إلى أهل رومية: "إن أقسام الله تجعل عطايا الله لا رجعة فيها. ذلك قوله: "لأن هبات الله ودعوته؛ هي بلا ندامة"[63]. وقد اقتبسه بولس من التوراة من قول بَلعام: "ليس الله إنسانًا؛ فيكذب، ولا ابن إنسان؛ فيندم. هل يقول ولا يفعل، أو يتكلم ولا يفي؟ إني قد أُمرت أن أبارك، فإنه قد بارك؛ فلا أردّه"[64].

رأى اليهود في الوعد:

---

(61) عب: ٦: ١٣- ١٦.

(62) الشعراء: ٢١٩.

(63) رو: ١١: ٢٩.

(64) عدد: ٢٣: ١٩- ٢٠.

يقول اليهود: حقا إن الله وعد إبراهيم بنبي منه يبدأ الوعد بإرث نسله باب أعدائه. ومعنى إرث بلاد الأعداء: هو أن الأمم ستكون مكلفة بالإيمان بهذا النبي. ويقولون: إن هذا النبي سيظهر من نسل داود، بعد تمام المدة التي حددها الله للعمل بشريعة التوراة. ولن ينتفع بثمرات هذا الوعد إلا "بقية" من بني إسرائيل. أما الأشرار فإنهم سيهلكون. وهذه البقية هي التي ستؤمن بالنبي الآتي من بعد موسى.

ويستدلون على أن البقية هي التي ستؤمن بالنبي الآتي بقول دانيال في الأصحاح السابع من سفره: إن أربعة ممالك ستقوم على الأرض هي بابل وفارس واليونان والرومان[65]. ثم يظهر **"ابن الإنسان"** فيعطيه الله تعالى سلطانًا ومجدًا وملكوتًا، ذلك قوله: "كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان؛ أتى وجاء إلى القديم الأيام؛ فقربوه قدامه، فأعطى سلطانًا ومجدًا وملكوتًا؛ لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض"[66].

ويقول اليهود: إن العمل بالتوراة شرط أساسي لتحقق الوعد[67] وجماعة قمران في نفس الحقبة؛ تحصر في أعضائها المحافظين وحدهم إتمام الوعود.

ولكن بولس يخالف اليهود، وجماعة قمران، ويقول: إن الوعد تحقق في اليهود يسوع المسيح. بسبب إيمان إبراهيم لا بسبب أعمال صدرت من إبراهيم[68].

---

(65) الذي أزال مملكة الرومان هو محمد ﷺ كما في أول سورة الروم من القرآن الكريم وفيها ﴿وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ﴾.

(66) دانيال: ٧: ١٣- ١٤.

(67) ٤ عزرا: ٧: ١ و ١٩- ٢١.

(68) غلاطية: ٣: ١٦- ٢٩.

وكلام اليهود في الوعد بأنه سيتحقق في ظهور نبي منهم وهم أشرار أو صالحون. هو كلام باطل؛ لأن الوعد تم في الابن الوحيد من قبل ولادة إسحق. ولأن أنبياء بني إسرائيل كانوا يمهدون الطريق لمحمد ﷺ. ففي سفر ملاخي: "هأنذا أرسل ملاكي، فيهيء الطريق أمامي، ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به هوذا يأتي قال رب الجنود، ومن يحتمل يوم مجيئه، ومن يثبت عند ظهوره؛ لأنه مثل نار الممحص، ومثل أشنان القصار، فيجلس ممحصًا ومنقيًا للفضة، فينقي بني لاوي، ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر"(٦٩).

وفي إنجيل مرقس: "كما هو مكتوب في الأنبياء ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك صوت صارخ في البرية، اعدوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة، كان يوحنا يعمد في البرية، ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا، وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم، واعتمدوا جميعهم منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم، وكان يوحنا يلبس وبر الإبل ومنطقة من جلد على حقويه، ويأكل جرادًا وعسلاً بريًا، و كان يكرز قائلاً: يأتي بعدي من هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن انحني وأحل سيور حذائه. أنا عمدتكم بالماء وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس"(٧٠).

وبولس يناقض نفسه في أنه قال في رسالته إلى أهل رومية: "إن الشعب اليهودي مرفوض من الله للسير أمامه". واستدل على أن اليهود مرفوضون بكلام موسى وكلام إشعياء، والشعب المرفوض لا يأتي منه صاحب الوعد.

---

(69) ملاخي: ٣: ١ – ٣.

(70) مرقس: ١: ٢ – ٨.

ففي الأصحاح العاشر من رسالته إلى أهل رومية: "لكنني أقول: ألعلهم لم يسمعوا بلى إلى كل الأرض خرج صوتهم، وإلى أقاصي المسكونة أقوالهم، لكني أقول: ألعل إسرائيل لم يعلم أولاً. موسى يقول: أنا أغيركم بما ليس أمة بأمة غبية أغيظكم. ثم أشعياء يتجاسر ويقول: وجدت من الذين لم يطلبوني، وصرت ظاهرًا للذين لم يسألوا عني، أما من جهة إسرائيل فيقول: طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم"[٧١].

***

تصريح المسيح ﷺ بأن الوعد في محمد ﷺ:

أولاً: قال دانيال النبي: إن أربعة ممالك ستقوم على الأرض[٧٢]، ثم يتأسس ملكوت الله بعد الرابعة على يد ابن الإنسان.

([71]) رو: ١٠: ١٨- ٢١.

([72]) في السنة الأولى لبيلشاصر ملك بابل رأى دانيال حلمًا ورؤى رأسه على فراشه، حينئذ كتب الحلم وأخبر براس الكلام، أجاب دانيال وقال: كنت أرى في رؤياي ليلاً، وإذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير، وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة، هذا مخالف ذاك، الأول كالاسد وله جناحا نسر، وكنت أنظر حتى انتف جناحاه وانتصب عن الأرض وأوقف على رجلين كانسان، وأعطي قلب إنسان وإذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدب، فارتفع على جنب واحد وفي فمه ثلاثة أضلع بين أسنانه فقالوا له: هكذا قم كل لحمًا كثيرًا، وبعد هذا كنت أرى، وإذا باخر مثل النمر وله على ظهره أربعة أجنحة طائر، وكان للحيوان أربعة رؤوس، وأعطي سلطانًا، بعد هذا كنت أرى في رؤى الليل، وإذا بحيوان رابع هائل وقوي وشديد جدًا، وله أسنان من حديد كبيرة أكل وسحق وداس الباقي برجليه، وكان مخالفًا لكل الحيوانات الذين قبله، وله عشرة قرون كنت متأملاً بالقرون، وإذا بقرن آخر صغير طلع بينها، وقلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه، وإذا بعيون كعيون الإنسان في هذا القرن، وفم متكلم بعظائم. كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي، وعرشه لهيب نار، وبكراته نار متقدة نهر نار جرى، وخرج من قدامه ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه، فجلس الدين وفتحت الأسفار، كنت أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التي تكلم بها القرن، كنت أرى إلى أن قتل الحيوان وهلك جسمه ودفع لوقيد النار، أما باقي الحيوانات فنزع عنهم سلطانهم،

فقال المسيح لبني إسرائيل: "توبوا فإنه قد اقترب ملكوت السموات". وقال بقوله هذا نبي الله يحيى عليه السلام. وقد كانا في الزمان في بدء احتلال الرومان لفلسطين. ولم يزل الرومان من فلسطين إلا المسلمون في "يوم الرب" وقال المسيح: إن ملكوت السموات الآتي لن يكون في بني إسرائيل. واستدل بالمزمور المئة والثامن عشر على أن سيكون من نسل محتقر في أعين اليهود، وهذا هو نص كلامه: "لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق، فلم تؤمنوا به، وأما العشارون والزواني فآمنوا به وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيرًا لتؤمنوا به، اسمعوا مثلاً آخر كان إنسان رب بيت غرس كرمًا، وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة، وبنى برجًا وسلمه إلى

ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت، كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه، فأعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض، أما أنا دانيال فحزنت روحي في وسط جسمي، وأفزعتني رؤى رأسي؛ فاقتربت إلى واحد من الوقوف، وطلبت منه الحقيقة في كل هذا، فأخبرني وعرفني تفسير الأمور: هؤلاء الحيوانات العظيمة التي هي أربعة، هي أربعة ملوك يقومون على الأرض، أما قديسو العلي فيأخذون المملكة، ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين، حينئذ رمت الحقيقة من جهة الحيوان الرابع، الذي كان مخالفًا لكلها وهائلاً جدًا، وأسنانه من حديد وأظفاره من نحاس، وقد أكل وسحق وداس الباقي برجليه. وعن القرون العشرة التي برأسه، وعن الآخر الذي طلع؛ فسقطت قدامه ثلاثة، وهذا القرن له عيون وفم متكلم بعظائم ومنظره أشد من رفقائه، وكنت انظر وإذا هذا القرن يحارب القديسين، فغلبهم حتى جاء القديم الأيام، وأعطي الدين لقديسي العلي، وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة، فقال هكذا: أما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض، مخالفة لسائر الممالك، فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها، والقرون العشرة من هذه المملكة هي عشرة ملوك يقومون، ويقوم بعدهم آخر، وهو مخالف الأولين، ويذل ثلاثة ملوك، ويتكلم بكلام ضد العلي، ويبلي قديسي العلي، ويظن أنه يغير الأوقات والسنة، ويسلمون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان، فيجلس الدين وينزعون عنه سلطانه؛ ليفنوا ويبيدوا إلى المنتهى، والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تعطى لشعب قديسي العلي، ملكوته ملكوت أبدي، وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون إلى هنا نهاية الأمر، أما أنا دانيال فأفكاري أفزعتني كثيرًا، وتغيرت علي هيئتي، وحفظت الأمر في قلبي" [دانيال ٧].

كرامين وسافر، و لما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره، فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضًا، وقتلوا بعضًا، ورجموا بعضًا، ثم أرسل أيضًا عبيدًا آخرين أكثر من الأولين، ففعلوا بهم كذلك.

فأخيرًا أرسل إليهم ابنه قائلاً: يهابون ابني. وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث هلموا نقتله، ونأخذ ميراثه، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه، فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين قالوا له أولئك الأردياء: يهلكهم هلاكًا رديًا، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الإثمار في أوقاتها. قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا؛ لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يترع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه، ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم"[٧٣].

ثانيًا: ذكر اسم "أحمد" وكتبه يوحنا "بيراكليت"، وينطقه المسيحيون "باراكليت" وهو في اليونانية "بيراكليتوس"، وينطقه المسيحيون "باراكليتوس" ويكتبون بدله "المُعَزِّي" أو "المؤيِّد" ومعناه: الآتي عوضًا عن المسيح ليعزِّي بني إسرائيل في ضياع ملكهم ونسخ شريعتهم.

والمسيحيون يفسرون "المعزِّي" بأنه هو الأقنوم الثالث في الثالوث المقدس عندهم، ويقولون: إنه نزل في اليوم الخمسين لرفع المسيح إلى السماء. ويقولون أيضًا: إنه "ابن الإنسان" صاحب "ملكوت السموات" في سفر دانيال. ويطلقون على موعد مجيئه "موعد الأب".

---

[73] متى: ٢١: ٣٢- ٤٥.

وخالفهم بطرس فقال: إن موعد الأب ما نزال في انتظاره "منتظرين طالبين سرعة مجيء يوم الرب" الذي به تنحل السموات ملتهبة، والعناصر محترقة تذوب فيها، ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضًا جديدة، يسكن فيها البر""[74].

والأوصاف التي جاءت بعد كلمة "المعَزي" تدل على محمد ﷺ.

***

وهذا هو النص من الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا وما بعده: "ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله؛ لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه؛ لأنه ماكث معكم، ويكون فيكم لا أترككم يتامى إني آتي إليكم بعد قليل لا يراني العالم أيضًا، وأما أنتم فترونني أني أنا حي، فأنتم ستحيون في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم في وأنا فيكم الذي عنده وصاياي ويحفظها، فهو الذي يحبني والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي.

قال له يهوذا: ليس الإسخريوطي يا سيد ماذا حدث حتى أنك مزمع أن تظهر ذاتك لنا، وليس للعالم. أجاب يسوع وقال له: إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً، الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي، والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للأب الذي أرسلني هذا كلمتكم، وأنا عندكم، وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء؟، ويذكركم بكل ما قلته لكم سلامًا اترك لكم سلامي اعطيكم ليس، كما يعطي العالم أعطيكم أنا لا تضطرب قلوبكم، ولا ترهب سمعتم أني قلت لكم: أنا اذهب ثم آتي إليكم لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون؛ لأني قلت أمضي إلى الآب؛

([74]) ٢ بط: ٣: ١٢- ١٣.

لأن أبي أعظم مني. وقلت لكم الان قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون لا اتكلم أيضا معكم كثيرًا؛ لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء، ولكن ليفهم العالم أني أحب الآب، وكما أوصاني الآب هكذا افعل قوموا ننطلق من ههنا.

أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام كل غصن في لا يأتي بثمر ينزعه وكل ما يأتي بثمر ينقيه ليأتي بثمر أكثر أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به اثبتوا في، وأنا فيكم كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم أيضًا إن لم تثبتوا في. أنا الكرمة وأنتم الأغصان الذي يثبت في وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير؛ لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا إن كان أحد لا يثبت في يطرح خارجًا كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق.

إن ثبتم في وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون، فيكون لكم بهذا يتمجد أبي إن تاتوا بثمر كثير؛ فتكونون تلاميذي، كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا اثبتوا في محبتي إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي، كما إني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته كلمتكم بهذا؛ لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم، هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به، لا أعود اسميكم عبيدًا؛ لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني قد سميتكم أحباء؛ لأني اعلمتكم بكل ما سمعته من أبي، ليس أنتم اخترتموني، بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر، ويدوم ثمركم؛ لكي يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمي، بهذا أوصيكم حتى تحبوا بعضكم بعضًا.

إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم، لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم؛ لذلك يبغضكم العالم اذكروا الكلام الذي قلته لكم، ليس عبد أعظم من سيده إن

كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم وإن كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم، لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمي؛ لأنهم لا يعرفون الذي أرسلني لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم.

الذي يبغضني يبغض أبي أيضًا، لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية، واما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي، لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم أنهم أبغضوني بلا سبب، ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضًا؛ لأنكم معي من الابتداء قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا سيخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله، وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب، ولا عرفوني.

لكني قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أني أنا قلته لكم و لم أقل لكم من البداية؛ لأني كنت معكم، وأما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني، وليس أحد منكم يسألني أين تمضي، لكن لأني قلت لكم: هذا قد ملأ الحزن قلوبكم، لكني أقول لكم الحق أنه خير لكم أن انطلق؛ **لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم**، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية، وعلى بر وعلى دينونة، أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي، وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضًا، وأما على دينونة فلان رئيس هذا العالم قد دين أن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدني؛ لأنه يأخذ مما لي ويخبركم



كل ما للأب هو لي لهذا قلت: إنه يأخذ مما لي ويخبركم بعد قليل لا تبصروني، ثم بعد قليل أيضا ترونني لأني ذاهب إلى الآب.

فقال قوم من تلاميذه بعضهم لبعض: ما هو هذا الذي يقوله لنا بعد قليل لا تبصرونني، ثم بعد قليل أيضا ترونني ولأني ذاهب إلى الآب؟ فقالوا: ما هو هذا القليل الذي يقول عنه: لسنا نعلم بماذا يتكلم؟ فعلم يسوع أنهم كانوا يريدون أن يسألوه فقال لهم: أعن هذا تتساءلون فيما بينكم لأني قلت: بعد قليل لا تبصرونني، ثم بعد قليل أيضا ترونني.

الحق الحق أقول لكم أنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح أنتم ستحزنون، ولكن حزنكم يتحول إلى فرح المراة، وهي تلد تحزن؛ لأن ساعتها قد جاءت، ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح؛ لأنه قد ولد إنسان في العالم، فأنتم كذلك عندكم الآن حزن، ولكني سأراكم أيضًا فتفرح قلوبكم، ولا ينزع أحد فرحكم منكم، وفي ذلك اليوم لا تسألونني شيئًا.

الحق الحق أقول لكم: إن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم إلى الآن لم تطلبوا شيئًا باسمي، اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً قد كلمتكم بهذا بأمثال، ولكن تأتي ساعة حين لا أكلمكم أيضًا بأمثال، بل أخبركم عن الآب علانية، في ذلك اليوم تطلبون باسمي، ولست أقول لكم: إني أنا أسأل الآب من أجلكم؛ لأن الآب نفسه يحبكم؛ لأنكم قد أحببتموني وأمنتم أني من عند الله خرجت خرجت من عند الآب، وقد أتيت إلى العالم وأيضًا أترك العالم وأذهب إلى الآب.

قال له تلاميذه: هوذا الآن تتكلم علانية ولست تقول مثلاً واحدًا، الآن نعلم أنك عالم بكل شيء، ولست تحتاج أن يسألك أحد لهذا نؤمن أنك من الله خرجت.

أجابهم يسوع: الآن تؤمنون هوذا تأتي ساعة، وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونني وحدي، وأنا لست وحدي؛ لأن الآب معي قد كلمتكم بهذا؛ ليكون لكم في سلام في العالم، سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم. تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال: أيها الآب قد أتت الساعة، مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضا؛ إذ أعطيته سلطانًا على كل جسد؛ ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته، وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته، والآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاتك، بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم، أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم كانوا لك وأعطيتهم لي، وقد حفظوا كلامك، والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك؛ لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم، وهم قبلوا وعلموا يقينًا أني خرجت من عندك، وآمنوا أنك أنت أرسلتني من أجلهم، أنا أسال لست أسال من أجل العالم، بل من أجل الذين أعطيتني؛ لأنهم لك، وكل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي، وأنا ممجد فيهم، ولست أنا بعد في العالم، وأما هؤلاء فهم في العالم، وأنا آتي اليك أيها الآب القدوس، احفظهم في اسمك الذين أعطيتني؛ ليكونوا واحدًا كما نحن حين كنت معهم في العالم، كنت احفظهم في اسمك الذين أعطيتني حفظتهم، ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب، أما الآن فإني آتي إليك، واتكلم بهذا في العالم؛ ليكون لهم فرحي كاملاً فيهم، أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم؛ لأنهم ليسوا من العالم، كما إني أنا لست من العالم، لست أسال أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير ليسوا من العالم، كما إني أنا لست من العالم قدسهم في حقك كلامك هو حق، كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم ولأجلهم أقدس أنا ذاتي؛ ليكونوا هم أيضًا

مقدسين في الحق، ولست أسال من أجل هؤلاء فقط، بل أيضًا من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم؛ ليكون الجميع واحدًا، كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك؛ ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا؛ ليؤمن العالم أنك أرسلتني، وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني؛ ليكونوا واحدًا كما أننا نحن واحد، أنا فيهم وأنت في؛ ليكونوا مكملين إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما احببتني، أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني، يكونون معي حيث أكون أنا؛ لينظروا مجدي الذي أعطيتني؛ لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني، وعرفتهم اسمك وسأعرفهم؛ ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم"[٧٥].

* * *
* *
*

([75]) يوحنا: ١٤: +.

الفصل العاشر

في

﴿وأنَّ السَّاعةَ لا رَيْبَ فِيهَا﴾

لما هاجر إبراهيم عليه السلام من أرض آبائه ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٧٦] رزقه الله بولد هو إسماعيل عليه السلام وكان من عادات الناس في ذاك الزمان: أن الزوجة الحرة كانت تُعطي جاريتها لرجلها لينجب لها منها بنين. فإذا ولدت الجارية يُنسب إلى الحرة، ولا ينسب إلى الجارية. وكانت "سارة" زوجة إبراهيم حرة وكانت عقيمًا، ولأنها تريد ولدا؛ أعطت جاريتها "هاجر" لإبراهيم وقالت له: "لعلّي أُرزق منها بنين" فلما دخل عليها إبراهيم أنجبت إسماعيل. فصار إسماعيل وحيدًا لسارة ووحيدًا لهاجر ووحيدًا لإبراهيم.

ففي الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين: "وأما ساراي امراة إبرام فلم تلد له، وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر، فقالت ساراي لابرام: هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة، ادخل على جاريتي لعلي أرزق منها بنين. فسمع إبرام لقول ساراي، فاخذت ساراي امرأة إبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة إبرام في أرض كنعان، وأعطتها لإبرام رجلها زوجة له، فدخل على هاجر، فحبلت، ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها، فقالت ساراي

---

[٧٦] الصافات: ١٠٠.

لابرام: ظلمي عليك أنا دفعت جاريتي إلى حضنك، فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينيها يقضي الرب بيني وبينك. فقال إبرام لساراي: هوذا جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينيك، فأذلتها ساراي فهربت من وجهها، فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور وقال: يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين؟ فقالت: أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي. فقال لها ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتك، واخضعي تحت يديها. وقال لها ملاك الرب: تكثيرًا أكثر نسلك، فلا يعد من الكثرة. وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابنا، وتدعين اسمه اسماعيل؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنسانا وحشيًّا، يده على كل واحدن ويد كل واحد عليه، وأمام جميع إخوته يسكن. فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل رئي؛ لأنها قالت: أههنا أيضًا رأيت بعد رؤية لذلك دعيت البئر بئر لحي رئي ها هي بين قادش وبارد، فولدت هاجر لإبرام ابنًا ودعا إبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل[77].

ذبح الابن الوحيد:

لما ولدت هاجر ابنها إسماعيل عند بئر الحي الرائي[78]- وهو بئر زمزم لأن الله ينظر إلى الحجاج نظرة رحمة وهم يطوفون بالكعبة، وكبر إسماعيل، أراد

---

(77) تك: ١٦: ١- ١٥.

(78) "كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه، هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله، عطشت نفسي إلى الله إلى الإله الحي متى أجيء، وأتراءى قدام الله، صارت لي دموعي خبزًا نهارًا وليلاً؛ اذ قيل لي كل يوم: أين إلهك؟ هذه اذكرها فاسكب نفسي علي لأني كنت أمر مع الجماع، أتدرج معهم إلى بيت الله بصوت ترنم وحمد جمهور معيد، لماذا أنت منحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنين؟ في ارتجي الله لأني بعد احمده لأجل خلاص وجهه يا إلهي نفسي منحنية في لذلك أذكرك من أرض الأردن وجبال حرمون من جبل مصعر غمر ينادي غمرًا عند صوت ميازيبك كل تياراتك، ولجحك طمت علي بالنهار يوصي الرب رحمته، وبالليل تسبيحه عندي صلاة لإله حياتي أقول: لله صخرتي لماذا نسيتني؟ لماذا اذهب حزينًا من مضايقة العدو بسحق في عظامي

الله أن يمتحن إيمان إبراهيم أمام الحجاج؛ ولذلك طلب منه ذبح ابنه الوحيد؛ ليُرى الناس مقدار محبة إبراهيم لله. فاستسلم لأمر الله هو وابنه. ولما رأى الناس وتحققوا؛ فداه الله-تعالى- بكبش عظيم.

والكعبة في "مكة" كان يُطلق عليها السجود لله، من زمان نوح عليه السلام الذي أسسها ووصي بالحج إليها؛ ولذلك قال إبراهيم لغلاميه: "ونسجد" أي ونحج.

وهذا هو النص:

في الأصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين: "وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال له: يا إبراهيم. فقال: هأنذا. فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق واذهب إلى أرض المريا، واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك. فبكر إبراهيم صباحا وشد على حماره، وأخذ اثنين من غلمانه معه وإسحق ابنه وشقق حطبًا لمحرقة، وقام وذهب إلى الموضع الذي قال له الله. وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد، فقال إبراهيم لغلاميه: اجلسا أنتما ههنا مع الحمار، وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع اليكما. فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضعه على إسحق ابنه، وأخذ بيده النار والسكين فذهبا كلاهما معًا، وكلم إسحق إبراهيم أباه وقال: يا أبي. فقال: هأنذا يا ابني. فقال: هوذا النار والحطب، ولكن أين الخروف للمحرقة. فقال إبراهيم: الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني. فذهبا كلاهما معًا، فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب، وربط اسحق ابنه، ووضعه على المذبح فوق الحطب، ثم مد إبراهيم يدهن وأخذ السكين ليذبح ابنه، فناداه

عيرني مضايقي بقولهم لي كل يوم: أين إلهك؟ لماذا أنت منحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنين في ترجي الله؟ لأني بعد أحمده خلاص وجهي وإلهي" [مزمور٤٢].

ملاك الرب من السماء وقال: إبراهيم إبراهيم. فقال: هأنذا. فقال: لا تمد يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئًا؛ لأني الآن علمت أنك خائف الله، فلم تمسك ابنك وحيدك عني. فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكًا في الغابة بقرنيه، فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضًا عن ابنه، فدعا ابراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يراه، حتى أنه يقال: اليوم في جبل الرب يرى"[٧٩].

***

"ويرث نسلك باب أعدائه":

إن النسل الوارث لإبراهيم هو نسل إسماعيل الوحيد؛ لأن المأمور بذبحه هو الابن الوحيد. ويبدأ إرثه من ظهور محمد ﷺ. ومن قبل ظهوره تكون مدة طويلة من السنين تمر على نسله ليكثروا؛ لأنهم لو كانوا قليلين فإنهم لن يقدروا على محاربة الأمم الوثنية والملك على بلادهم. وإلى حين ظهوره يكثر نسل إسماعيل ونسل إبراهيم جميعًا. ويمهدون الطريق لمجيئه.

ذلك قوله: "فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يراه، حتى أنه يقال اليوم في جبل الرب يرى، ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء، وقال: بذاتي أقسمت. يقول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر، ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرًا كنجوم السماء، وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه، ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي"[٨٠].

***

الإرث بالحرب:

---

[٧٩] تك: ٢٢: ١- ١٤.

[٨٠] تك. ٢٢: ١٤- ١٨

وقوله: "ويرث نسلك باب أعدائه" نسله من إسماعيل. معناه: أن الإر
لبلادهم إما أن يكون بالسلم، وإما أن يكون بالحرب. وقد عينت التوراة المعـ
الثاني- وهو الحرب- وجعلته وصفًا لازمًا للإرث. ذلك قول داود عليه السلام: "قـا
الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك موطئا لقدميك يرسل الرب قضيب
عزك من صهيون تسلط في وسط اعدائك شعبك منتدب في يوم قوتك في زينـ
مقدسة من رحم الفجر لك طل حداثتك اقسم الرب و لن يندم انت كـاهن الى
الابد على رتبة ملكي صادق الرب عن يمينك يحطم في يوم رجزه ملوكا يدين بين
الأمم ملأ جثثا ارضا واسعة سحق رؤوسها من النهر يشرب في الطريق لـذلك
يرفع الرأس"(٨١).

والنص العبري هو قال يَهْوَه لأدوناي. أي قال الله لسيدي. أي أن داود يقول
عن النبي الأمي الآتي أنه سيده.

***

يوم الرب:

ومن أوصاف النبي محمد ﷺ أنه يهلك الكافرين به في الأيام لظهوره: ١- من
اليهود ٢- والأمم. ويفتح بلادهم ويملك عليها وينشر فيها شريعة الله. ولأن حربه
لهم من أجل دين الله. **سمي الله يوم الحرب بيوم الرب.**

***

أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى يُنذرون اليهود والأمم بيوم الرب:

وقد أكد أنبياء بني إسرائيل على مجيء يوم الرب، وهلاك اليهود والأمم على
يد هذا النبي الأمي. وقالوا: إن الهلاك سيكون للكافرين به، ولن يكون للمؤمنين
به. ووصفوا المعارك الحربية بأوصاف تناسب شدة الحرب والهزيمة. ومن ذلـك

---

(٨١) مزمور: ١١٠.

تساقط النجوم من السماء، وانتثار الكواكب، ودكّ الجبال الدهرية، وسيول المياه تطمو، كل ذلك كناية عن حراب ديار الكافرين، وهزيمتهم، وانقضاء ملكهم من العالم، ونسخ شريعتهم.

ومن ذلك قول حزقيال: "وكان إلي كلام الرب قائلاً: وأنت يـا ابـن آدم فهكذا. قال السيد الرب: لأرض إسرائيل نهاية قد جاءت النهاية على زوايا الأرض الأربع الآن النهاية عليك، وأرسل غضبي عليك وأحكم عليك كطرقك، وأجلب عليك كل رجاساتك، فلا تشفق عليك عيني، ولا أعفو بل أجلب عليك طرقك، وتكون رجاساتك في وسطك؛ فتعلمون أني أنا الرب.

هكذا قال السيد الرب شر شر وحيد هوذا قد أتى نهاية قد جاءت جـاءت النهاية انتبهت إليك ها هي قد جاءت، انتهى الدور إليك أيها الساكن في الأرض بلغ الوقت اقترب يوم اضطراب لا هتاف الجبال الآن عن قريب أصب رجـزي عليك، وأتمم سخطي عليك، وأحكم عليك كطرقك، وأجلـب عليـك كـل رجاساتك، فلا تشفق عيني، ولا أعفو، بل أجلب عليك كطرقك ورجاسـاتك تكون في وسطك، فتعلمون إني أنا الرب الضارب ها هوذا اليوم ها هوذا قد جاء، دارت الدائرة، ازهرت العصا، افرخت الكبرياء، قام الظلم إلى عصا الشر لا يبقى منهم، ولا من ثروتهم، ولا من ضجيجهم، ولا نوح عليهم، قد جاء الوقت بلـغ اليوم، فلا يفرحن الشاري، ولا يحزنن البائع؛ لأن الغضب على كل جمهـورهم؛ لأن البائع لن يعود إلى المبيع، وإن كانوا بعد بين الأحياء؛ لأن الرؤيا علـى كـل جمهورها، فلا يعود، والإنسان بإثمه لا يشدد حياته قد نفخوا في البوق، واعـدوا الكل ولا ذاهب إلى القتال؛ لأن غضبي على كل جمهورهم السيف من خـارج والوبا والجوع من داخل الذي هو في الحقل يموت بالسيف، والذي هو في المدينة يأكله الجوع والوبا، وينفلت منهم منفلتون، ويكونون علـى الجبـال كحمـام

الأوطئة، كلهم يهدرون، كل واحد على إثمه، كل الأيدي ترتخي، وكل الركب تصير ماء، ويتنطقون بالمسح، ويغشاهم رعب، وعلى جميع الوجوه خزي، وعلى جميع رؤوسهم قرع"[٨٢].

المسيح عيسى عليه السلام ينذر بيوم الرب، ويسمي معارك يوم الرب بيوم الساعة:

وكانت دعوة المسيح عليه السلام مكونة من أمرين:

الأمر الأول: أنه مصدق للتوراة. **والأمر الآخر:** هو أنه مبشر بمجيء محمد ﷺ من بعده. وكان يستدل على مجيء محمد بالآيات المكتوبة عنه في التوراة. ومن ذلك:

١- أن دانيال النبي قد حدد زمن انتهاء الملك من اليهود بأربع مائة وتسعين سنة. (٧٠ أسبوعًا × ٧ سنوات= ٤٩٠ سنة) لأن الأسبوع – في لغة التوراة – سبع سنوات. وقال دانيال: إنه في حالة انتهاء الملك سينتهي بحرب شديدة، بعدها تخرب أورشليم (القدس)، والذي سيخربها هو النبي الأمي الآتي على مثال موسى، وسيملك عليها، ويبقى ملكه فيها إلى الأبد "ولا يكون لملكه نهاية" ذلك في الأصحاح التاسع من سفر دانيال وفيه: "سبعون اسبوعا قضيت على شعبك و على مدينتك المقدسة لتكميل المعصية و تتميم الخطايا و لكفارة الاثم و ليؤتى بالبر الابدي و لختم الرؤيا و النبوة و لمسح قدوس القدوسين"[٨٣].

٢- استدل المسيح عليه السلام بكلام دانيال عن مجيء محمد ﷺ، وزوال الملك من اليهود على يديه. فقال: "فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في الكتاب المقدس ليفهم القارئ؛ فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها".

---

[82] حزقيال: ٧: ١- ١٨.

[83] دا: ٩: ٢٤.

وقال المسيح: ستحدث من بعدي علامات قبل ساعة هذه المعركة. هي أشراط للساعة. فإذا تمت العلامات فاعلموا أن "ابن الإنسان" سيظهر. ليؤسس "ملكوت الله" وذلك لأن دانيال النبي في الأصحاح السابع من سفره قال: إن أربعة ممالك ستقوم على الأرض هي بابل وفارس واليونان والرومان. ومن بعد الرومان ستظهر مملكة إلهية على الأرض، هي "ملكوت الله" وسيؤسسها "ابن الإنسان" فاستدل المسيح بكلامه، وعبر عن محمد بلقب ابن الإنسان، وسمي مملكته بملكوت الله أو ملكوت السموات. والعلامات هي:

١- قيام حروب بين الأمم ٢- حدوث زلازل ومجاعات وأوبئة ٣- اضطهادات اليهود لأتباع المسيح ٤- ارتداد البعض عن الإيمان ٥- انتشار الإنجيل في العالم ٦- ظهور أنبياء كذبة.

ثم تنشب معركة ساعة يوم الرب في فلسطين في موقعة[٨٤] "هَرْ مَجَدُّون" وينتهي الملك من اليهود إلى الأبد. وقال المسيح عن أ- يوم الرب ب- وساعة المعركة فيه ما نصه: "السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول. وأما ذلك اليوم، وتلك الساعة[٨٥]؛ فلا يعلم بهما أحد، ولا ملائكة السموات إلا أبي وحده"[٨٦].

وفي رواية مرقس: "السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول. وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن إلا الأب"[٨٧].

([84]) موقعة هار بجدون: هي معركة اليارموك في زمن عمر بن الخطاب ﷺ.

([85]) ساعة معركة يوم الرب التي هي هار مجدون في سهل أريحا في فلسطين.

([86]) متى: ٢٤: ٣٥- ٣٦.

([87]) مر: ١٣: ٣١- ٣٢.

وفي رواية لوقا: "وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم، وعلى الأرض كرب أمم بحيرة البحر والأمواج تضج، والناس يغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة؛ لأن قوات السماوات تتزعزع، وحينئذ يبصرون ابن الانسان آتيًا في سحابة بقوة ومجد كثير، ومتى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم؛ لأن نجاتكم تقترب، وقال لهم مثلاً: انظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار متى أفرخت تنظرون، وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب، هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة، فاعلموا أن ملكوت الله قريب. الحق أقول لكم: إنه لا يمضي هذا الجيل حتى يكون الكل السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول فاحترزوا لأنفسكم؛ لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة، فيصادفكم ذلك اليوم بغتة؛ لأنه كالفخ يأتي على جميع الجالسين على وجه كل الأرض اسهروا إذًا، وتضرعوا في كل حين لكي تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون وتقفوا قدام ابن الإنسان"[88].

***

التطابق مع القرآن الكريم في أن ساعة هلاك اليهود على يد المسلمين ستكون بغتة:

قال الله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي**﴾[89] وهذا متطابق مع قول مرقس: "إن الابن لا يعلمها".

وقوله تعالى: ﴿**لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً**﴾. وهذا متطابق مع قول لوقا: "فيصادفكم ذلك اليوم بغتة".

---

(88) لوقا: ٢١: ٢٥- ٣٦.

(89) الأعراف: ١٨٧.

١- وهذا هو نص إنجيل مرقس عن معركة الساعة في يوم الرب: "وفيما هو خارج من الهيكل قال له واحد من تلاميذه: يا معلم انظر ما هذه الحجارة وهذه الأبنية. فاجاب يسوع وقال له: اتنظر هذه الأبنية العظيمة لا يترك حجر على حجر لا ينقض، وفيما هو جالس على جبل الزيتون تجاه الهيكل. سأله بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس على انفراد: قل لنا متى يكون هذا؟ وما هي العلامة عندما يتم جميع هذا؟ فاجاهم يسوع وابتدأ يقول: انظروا لا يضلكم أحد فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين إني انا هو ويضلون كثيرين، فاذا سمعتم بحروب وبأخبار حروب، فلا ترتاعوا؛ لأنها لا بد أن تكون، ولكن ليس المنتهى بعد؛ لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتكون زلازل في أماكن، وتكون مجاعات واضطرابات هذه مبتدأ الأوجاع.

فانظروا إلى نفوسكم؛ لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس، وتجلدون في مجامع، وتوقفون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم، وينبغي أن يكرز أولاً بالانجيل في جميع الأمم، فمتى ساقوكم ليسلموكم، فلا تعتنوا من قبل بما تتكلمون، ولا تهتموا، بل مهما أعطيتم في تلك الساعة، فبذلك تكلموا؛ لأن لستم أنتم المتكلمين، بل الروح القدس، وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والآب ولده، ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم، وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي، ولكن الذي يصبر إلى المنتهى، فهذا يخلص، فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة، حيث لا ينبغي ليفهم القارئ، فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال، والذي على السطح، فلا يترل إلى البيت، ولا يدخل ليأخذ من بيته شيئًا، والذي في الحقل فلا يرجع إلى الوراء لياخذ ثوبه، وويل للحبالى والمرضعات في تلك الايام، وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء؛ لأنه يكون في تلك الأيام ضيق لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة التي خلقها الله إلى الآن، ولن

يكون ولو لم يقصر الرب تلك الأيام لم يخلص جسد، ولكن لأجل المختارين الذين اختارهم قصر الأيام.

حينئذ ان قال لكم أحد: هوذا المسيح هنا أو هوذا هناك، فلا تصدقوا؛ لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة، ويعطون آيات وعجائب لكي يضلوا لو أمكن المختارين أيضًا، فانظروا أنتم ها أنا قد سبقت واخبرتكم بكل شيء، وأما في تلك الأيام بعد ذلك الضيق، فالشمس تظلم، والقمر لا يعطي ضوءه، ونجوم السماء تتساقط، والقوات التي في السماوات تتزعزع.

وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة ومجد، فيرسل حينئذ ملائكته، ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء، فمن شجرة التين تعلموا المثل متى صار غصنها رخصًا، وأخرجت أوراقًا تعلمون أن الصيف قريب هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة، فاعلموا أنه قريب على الأبواب.

الحق أقول لكم: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله السماء والارض تزولان، ولكن كلامي لا يزول، وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن إلا الآب.

انظروا اسهروا وصلوا؛ لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت كأنما إنسان مسافر ترك بيته، وأعطى عبيده السلطان، ولكل واحد عمله وأوصى البواب أن يسهر اسهروا إذا؛ لأنكم لا تعلمون متى يأتي رب البيت أمساء أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحًا؛ لئلا يأتي بغتة فيجدكم نيامًا، وما أقوله لكم أقوله للجميع اسهروا"[٩٠].

---

[90] مرقس: ١٣.

٢- وهذا هو نص إنجيل لوقا عن معركة الساعة في يوم الرب: "وتطلع فرأى الأغنياء يلقون قرابينهم في الخزانة، ورأى أيضًا أرملة مسكينة ألقت هناك فلسين، فقال: بالحق أقول لكم أن هذه الأرملة الفقيرة ألقت اكثر من الجميع؛ لأن هؤلاء من فضلتهم ألقوا في قرابين الله، وأما هذه فمن أعوازها ألقت كل المعيشة التي لها، وإذ كان قوم يقولون عن الهيكل أنه مزين بحجارة حسنة وتحف، قال: هذه التي ترونها ستأتي أيام لا يترك فيها حجر على حجر لا ينقض.

فسألوه قائلين: يا معلم متى يكون هذا، وما هي العلامة عندما يصير هذا؟ فقال: انظروا لا تضلوا فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: إني أنا هو، والزمان قد قرب، فلا تذهبوا وراءهم، فاذا سمعتم بحروب وقلاقل فلا تجزعوا؛ لأنه لا بد أن يكون هذا أولاً، ولكن لا يكون المنتهى سريعًا. ثم قال لهم: تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتكون زلازل عظيمة في أماكن ومجاعات وأوبئة، وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء، وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم، ويطردونكم، ويسلمونكم إلى مجامع وسجون، وتساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمي، فيؤول ذلك لكم شهادة، فضعوا في قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكي تحتجوا؛ لأني أنا أعطيكم، فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها.

وسوف تسلمون من الوالدين والأخوة والأقرباء والأصدقاء، ويقتلون منكم، وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي، ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك بصبركم اقتنوا أنفسكم، ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش، فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها، حينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال، والذين في وسطها، فليفروا خارجًا، والذين في الكور فلا يدخلوها؛ لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب، وويل للحبالى والمرضعات في تلك الايام؛ لأنه يكون ضيق عظيم

على الأرض، وسخط على هذا الشعب، ويقعون بفم السيف، ويسبون إلى جميع الأمم، وتكون أورشليم مدوسة من الأمم، حتى تكمل أزمنة الأمم، وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم، وعلى الأرض كرب أمم بحيرة البحر والأمواج تضج، والناس يغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة؛ لأن قوات السماوات تتزعزع.

وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيًا في سحابة بقوة ومجد كثير، ومتى ابتدأت هذه تكون، فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم؛ لأن نجاتكم تقترب، وقال لهم مثلاً: انظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار متى أفرخت تنظرون، وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب، هكذا أنتم أيضًا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة، فاعلموا أن ملكوت الله قريب.

الحق أقول لكم: إنه لا يمضي هذا الجيل حتى يكون الكل السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول؛ فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة، فيصادفكم ذلك اليوم بغتة؛ لأنه كالفخ يأتي على جميع الجالسين على وجه كل الأرض اسهروا إذًا وتضرعوا في كل حين؛ لكي تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون وتقفوا قدام ابن الإنسان، وكان في النهار يعلم في الهيكل وفي الليل يخرج ويبيت في الجبل الذي يدعى جبل الزيتون، وكان كل الشعب يبكرون إليه في الهيكل ليسمعوه"[٩١].

٣- وهذا هو نص إنجيل متى عن معركة الساعة في يوم الرب: "ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل، فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل، فقال لهم يسوع: أما تنظرون جميع هذه الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا

([91]) لوقا: ٢١: ١- ٣٨.

ينقض. وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين: قل لنا متى يكون هذا، وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر. فأجاب يسوع وقال: لهم انظروا لا يضلكم أحد فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح، ويضلون كثيرين، وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب انظروا لا ترتاعوا؛ لأنه لا بد أن تكون هذه كلها، ولكن ليس المنتهى بعد؛ لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن، ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع، حينئذ يسلمونكم إلى ضيق، ويقتلونكم، وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي، وحينئذ يعثر كثيرون، ويسلمون بعضهم بعضا، ويبغضون بعضهم بعضا، ويقوم أنبياء كذبة كثيرون، ويضلون كثيرين، ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين، ولكن الذي يصبر إلى المنتهى، فهذا يخلص.

ويكرز ببشارة الملكوت، هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى، فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس ليفهم القارئ، فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال، والذي على السطح؛ فلا يترل ليأخذ من بيته شيئًا، والذي في الحقل؛ فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه، **وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام**، وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء، ولا في سبت؛ لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن، ولن يكون ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد، ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام.

حينئذ إن قال لكم أحد: هوذا المسيح هنا أو هناك، فلا تصدقوا؛ لأنه سيقوم مسحاء كذبة، وأنبياء كذبة، ويعطون آيات عظيمة وعجائب، حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا ها أنا قد سبقت وأخبرتكم، فإن قالوا لكم ها هو في البرية، فلا تخرجوا، ها هو في المخادع، فلا تصدقوا؛ لأنه كما أن البرق يخرج من

المشارق، ويظهر إلى المغارب، هكذا يكون أيضًا مجيء ابن الإنسان؛ لأنه حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور.

وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماوات تتزعزع، وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتيًا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السماوات إلى أقصائها، فمن شجرة التين تعلموا المثل متى صار غصنها رخصًا، وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب، هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب.

الحق أقول لكم: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول، وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلم بهما أحد، ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده، وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضا مجيء ابن الانسان؛ لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك، ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع، كذلك يكون أيضا مجيء ابن الإنسان.

حينئذ يكون اثنان في الحقل يؤخذ الواحد ويترك الآخر، اثنتان تطحنان على الرحى، تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى، اسهروا إذًا؛ لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم، واعلموا هذا إنه لو عرف رب البيت في أية هزيع يأتي السارق لسهر، ولم يدع بيته ينقب؛ لذلك كونوا أنتم أيضًا مستعدين؛ لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان، فمن هو العبد الأمين الحكيم الذي أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام في حينه.

طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا. الحق أقول لكم: إنه يقيمه على جميع أمواله، ولكن إن قال ذلك العبد الردي في قلبه سيدي يبطئ قدومه، فيبتدئ يضرب العبيد رفقاءه، ويأكل ويشرب مع السكارى، يأتي سيد ذلك العبد في يوم لا ينتظره، وفي ساعة لا يعرفها، فيقطعه، ويجعل نصيبه مع المرائين، هناك يكون البكاء وصرير الإسنان.

حينئذ يشبه ملكوت السماوات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس، وكان خمس منهن حكيمات، وخمس جاهلات، أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن، ولم يأخذن معهن زيتًا، وأما الحكيمات فأخذن زيتًا في آنيتهن مع مصابيحهن، وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن، ففي نصف الليل صار صراخ هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه، فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحهن فقالت الجاهلات للحكيمات: أعطيننا من زيتكن، فإن مصابيحنا تنطفئ، فأجابت الحكيمات قائلات: لعله لا يكفي لنا، ولكن بل اذهبن إلى الباعة وابتعن. لكن وفيما هن ذاهبات ليبتعن جاء العريس، والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأغلق الباب أخيرًا جاءت بقية العذارى أيضًا قائلات: يا سيد يا سيد افتح لنا فأجاب وقال: الحق أقول لكن إني ما أعرفكن فاسهروا إذًا؛ لأنكم لا تعرفون اليوم، ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان.

وكأنما إنسان مسافر دعا عبيده وسلمهم أمواله، فأعطى واحدًا خمس وزنات، وآخر وزنتين وآخر وزنة، كل واحد على قدر طاقته، وسافر للوقت، فمضى الذي أخذ الخمس وزنات وتاجر بها، فربح خمس وزنات أخر، وهكذا الذي أخذ الوزنتين ربح أيضًا وزنتين أخريين، وأما الذي أخذ الوزنة فمضى وحفر في الأرض وأخفى فضة سيده، وبعد زمان طويل أتى سيد أولئك العبيد وحاسبهم، فجاء الذي أخذ الخمس وزنات وقدم خمس وزنات أخر قائلا: يا سيد

خمس وزنات سلمتني هوذا، خمس وزنات أخر ربحتها فوقها. فقال له سيده: نعمًا أيها العبد الصالح والأمين، كنت أمينا في القليل فأقيمك على الكثير ادخل إلى فرح سيدك.

ثم جاء الذي أخذ الوزنتين وقال: يا سيد وزنتين سلمتني هوذا وزنتان أخريان ربحتهما فوقهما. قال له سيده: نعمًا أيها العبد الصالح والأمين كنت أمينا في القليل فأقيمك على الكثير، ادخل إلى فرح سيدك. ثم جاء أيضًا الذي أخذ الوزنة الواحدة وقال يا سيد: عرفت أنك إنسان قاس تحصد حيث لم تزرع، وتجمع حيث لم تبذر، فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك في الأرض هوذا الذي لك.

فأجاب سيده وقال له: أيها العبد الشرير والكسلان عرفت أني أحصد حيث لم أزرع، وأجمع من حيث لم أبذر، فكان ينبغي أن تضع فضتي عند الصيارفة، فعند مجيئي كنت آخذ الذي لي مع ربا، فخذوا منه الوزنة وأعطوها للذي له العشر وزنات؛ لأن كل من له يعطى فيزداد، ومن ليس له، فالذي عنده يؤخذ منه، والعبد البطال إطرحوه إلى الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الإسنان.

ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميز بعضهم من بعض، كما يميز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار، ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا: يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم؛ لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريبًا فأويتموني، عريانًا فكسيتموني، مريضًا فزرتموني، محبوسًا فأتيتم إلي.

فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب متى رأيناك جائعًا فاطعمناك أو عطشانًا فسقيناك، ومتى رأيناك غريبًا فأويناك أو عريانا فكسوناك، ومتى رأيناك مريضًا أو محبوسًا فأتينا إليك؟

فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم. ثم يقول أيضًا للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته؛ لأني جعت فلم تطعموني، عطشت فلم تسقوني، كنت غريبًا فلم تاووني، عريانا فلم تكسوني، مريضًا ومحبوسًا، فلم تزوروني. حينئذ يجيبونه هم أيضًا قائلين: يا رب متى رأيناك جائعًا أو عطشانًا أو غريبًا أو عريانًا أو مريضًا أو محبوسًا و لم نخدمك؟ فيجيبهم قائلاً: الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا، فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية"[٩٢].

* * *
* *
*

([92]) متى: ٢٤: ٠.

أبو سلوم المعتزلي

الفصل الحادي عشر

في

مواعيد الساعة

أولاً: مواعيد الساعة في التوراة والإنجيل:

١- والمسيح وهو يتكلم عن يوم الرب، وساعة المعركة فيه. يقول: "السما والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول. وأما ذلك وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهـ أحد. . . إلخ". هذا في إنجيل متى.

٢- وفي إنجيل مرقس: نفس العبارة. وقد اقتبسها المسيح من سفر إشعياء[٩٣] "وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد".

٣- وفي إنجيل لوقا: نفس العبارة.

٤- وفي إنجيل متى: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يـــزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس، حتى يكون الكل، فمن نقض إحـــدى هذه الوصايا الصغرى، وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت الســـماوات وأما من عمل وعلم، فهذا يدعى عظيمًا في ملكوت السماوات، فإني أقول لكم إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات"[٩٤].

---

(93) إشعياء: ٤٠: ٨.

(94) متى: ٥: ١٧- ٢٠

٥- وفي سفر إشعياء: "إنصتوا إليّ يا شعبي، ويا أمتي إصغي إليّ؛ لأن شريعة من عندي تخرج، وحقي أثبته نورًا للشعوب قريب بري، قد برز خلاصي وذراعاي يقضيان للشعوب إياي ترجو الجزائر، وتنتظر ذراعي، ارفعوا إلى السماوات عيونكم، وانظروا إلى الأرض من تحت، فإن السماوات كالدخان تضمحل، والأرض كثوب تبلى، وسكانها كالبعوض يموتون أما خلاصي فإلى الأبد يكون وبري لا ينقض اسمعوا لي يا عارفي البر الشعب الذي شريعتي في قلبه، لا تخافوا من تعيير الناس ومن شتائمهم لا ترتاعوا؛ لأنه كالثوب يأكلهم العث، وكالصوف يأكلهم السوس أما بري فإلى الأبد يكون وخلاصي إلى دور الأدوار"[٩٥].

٦- "عزوا عزوا شعبي يقول إلهكم: طيبوا قلب أورشليم، ونادوها بأن جهادها قد كمل أن إثمها قد عفي عنه إنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها صوت صارخ في البرية، أعدوا طريق الرب، قوموا في القفر سبيلاً لإلهنا كل وطاء يرتفع، وكل جبل، وأكمة ينخفض، ويصير المعوج مستقيمًا، والعراقيب سهلاً، فيعلن مجد الرب، ويراه كل بشر جميعًا؛ لأن فم الرب تكلم صوت قائل: ناد. فقال: بماذا أنادي كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل ييس العشب ذبل الزهر؛ لأن نفخة الرب هبت عليه حقًا الشعب عشب ييس العشب ذبل الزهر، وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد على جبل عال، اصعدي يا مبشرة صهيون، ارفعي صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم، ارفعي لا تخافي قولي لمدن يهوذا: هوذا إلهك، هوذا السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له، هوذا أجرته معه وعملته قدامه

---

[95] إشعياء: ٥١: ٤- ٨.

كراع يرعى قطيعه بذراعه يجمع الحملان، وفي حضنه يحملها، ويقود المرضعات"[96].

٧- وفي سفر إشعياء: "أيها العطاش جميعًا هلموا إلى المياه، والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرًا ولبنًا، لماذا تزنون فضة لغير خبز، وتعبكم لغير شبع استمعوا لي استماعًا وكلوا الطيب، ولتتلذذ بالدسم أنفسكم أميلوا آذانكم، وهلموا إليّ، اسمعوا فتحيا أنفسكم وأقطع لكم عهدًا ابديًا مراحم داود الصادقة، هوذا قد جعلته شارعًا للشعوب رئيسًا وموصيًا للشعوب.

ها أمة لا تعرفها تدعوها وأمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك وقدوس إسرائيل؛ لأنه قد مجدك، اطلبوا الرب ما دام يوجد، ادعوه وهو قريب ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره، وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا؛ لأنه يكثر الغفران؛ لأن أفكاري ليست أفكاركم، ولا طرقكم طرقي. يقول الرب:

لأنه كما علت السماوات عن الأرض، هكذا علت طرقي عن طرقكم، وأفكاري عن أفكاركم؛ لأنه كما يترل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطي زرعًا للزارع وخبزًا للأكل، هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي، لا ترجع إليّ فارغة، بل تعمل ما سررت به، وتنجح فيما أرسلتها له؛ لأنكم بفرح تخرجون وبسلام تحضرون الجبال والآكام تشيد أمامكم ترنمًا، وكل شجر الحقل تصفق بالأيادي عوضًا عن الشوك ينبت سرو وعوضًا عن القريس يطلع آس ويكون للرب اسما علامة أبدية لا تنقطع"[97].

---

(96) إشعياء: ٤٠: ١- ١١.

(97) إشعياء: ٥٥.

ثانيا: مواعيد الساعة في القرآن الكريم:

١- في سورة الروم: ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى -أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ (١٠) اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦) فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[98].

٢- في سورة الكهف: ﴿وكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾[99].

---

(98) الروم: ١- ١٨.

(99) الكهف: ٢١.

٣- ﴿ويَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ومَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٥) وإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (٤٦) ولِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٤٧) ويَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً ولا نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥٠) أَثُمَّ إِذَا مَا وقَعَ آمَنتُم بِهِ آلآنَ وقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥١) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٥٢) ويَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي ورَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ومَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٥٣) ولَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٥٤) أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ أَلا إِنَّ وعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٥٥) هُوَ يُحْيِي ويُمِيتُ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[100].

٤- ﴿ولَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ولا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[101].

٥- ﴿وإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾[102].

---

(100) يونس: ٤٥- ٥٦.

(101) الرعد: ٣١.

(102) الرعد: ٤٠.

٦- ﴿وأنذرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) وسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ (٤٥) وقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ (٤٦) فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ وبَرَزُوا لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ (٤٨) وتَرَى المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ (٥١) هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ ولِيُنذَرُوا بِهِ ولِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ واحِدٌ ولِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٥٢)﴾[103].

٧- ﴿الَر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وقُرْآنٍ مُّبِينٍ (١) رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا ويَتَمَتَّعُوا ويُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣) ومَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ ولَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ومَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾[104].

٨- ﴿وأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وهُمْ فِي غَفْلَةٍ وهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ ومَنْ عَلَيْهَا وإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾[105].

٩- ﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَداً﴾[106].

---

(103) إبراهيم: ٤٤- ٥٢.

(104) الحجر: ١- ٥.

(105) مريم: ٣٩- ٤٠.

(106) مريم: ٨٤.

١٠- ﴿ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾[107].

١١- ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴾[108].

١٢- ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾[109].

١٣- ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَن ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٣٩) بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[110].

١٤- ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾[111].

هذا الوعد في فتح بلاد يأجوج ومأجوج في "يوم الرب":

١٥- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى

---

107) طه: ١٢٩.

108) طه: ١٣٥.

109) الأنبياء: ١.

110) الأنبياء: ٣٩- ٤٠.

111) الأنبياء: ٩٦- ٩٧.

عَذَابِ السَّعِيرِ (٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾[١١٢].

١٦- ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[١١٣].

١٧- ﴿ وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾[١١٤].

١٨- ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[١١٥].

١٩- ﴿ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾[١١٦].

---

(112) الحج: ١- ٧.

(113) الحج: ٤٧.

(114) الحج: ٥٥.

(115) الحج: ٧٢

وطابق مع سورة الروم.

٢٠- ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾[117].

٢١- ﴿ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[118].

٢٢- ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ (٣٠) ﴾[119].

٢٣- ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٣) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (٥) وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[120].

---

(116) المؤمنون: ٧٧.

(117) النمل: ٧١- ٧٢.

(118) العنكبوت: ٥.

(119) السجدة: ٢٨: ٣٠.

(120) سبأ: ٢- ٦.

٢٤- ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ (١٢١).

٢٥- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (١٢٢).

٢٦- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤)﴾ (١٢٣).

٢٧- ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (١٢٤).

٢٨- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (١٢٥).

٢٩- ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٦).

---

(121) سبأ: ٣٠.

(122) فاطر: ٥.

(123) يس: ٤٨- ٥٤.

(124) الزمر: ٧٤.

(125) غافر: ٥٣- ٥٥.

(126) غافر. ٥٩.

٣٠- ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾(١٢٧).

٣١- ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾(١٢٨).

٣٢- ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٢) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦٤) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦) الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾(١٢٩).

٣٣- ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾(١٣٠).

---

(127) غافر: ٧٧.

(128) الشورى: ١٧- ١٨.

(129) الزخرف: ٥٧- ٦٧.

(130) الذاريات: ١- ٦.

٣٤- ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾[131].

٣٥- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾[132].

٣٦- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[133].

٣٧- ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾[134].

تنبيه:

معاني الآيات التي ذكرناها. موجودة في كتاب يوم الرب في التوراة والإنجيل والقرآن. وكتاب البداية والنهاية لأمة بني إسرائيل.

وقال كاتب من الكتاب: "تبين لي أن أهل الكهف في الفكر المسيحي -أو الشبان أو النيام السبعة، أو الشهداء القديسين من مدينة أفسس- قد ذهبوا إلى كهف قريب من مدينة أفسس على الشاطئ الغربي من آسيا الصغرى (تركيا حاليًا) خوفًا من اضطهاد وبطش الملك الوثني، وفارّين بدينهم المعتقدين فيه بأن "المسيح ابن الله" وأن المسيح ربهم، وأن المسيح ملك السموات والأرض.

وهو ما يخالف أحداث قصة أصحاب الكهف والرقيم في القرآن؛ لأن الفتية الذين ذهبوا إلى الكهف مؤمنون بالله الواحد بلا شريك ولا شبيه، و لم يفتروا على الله كذبًا، و لم يقولوا قولاً شططًا" أ. هـ

الرد عليه:

---

(131) النجم: ٥٧- ٥٨.

(132) القمر: ٦.

(133) الملك: ٢٥- ٢٦.

(134) المعارج: ٤٢.

إنهم لم يفروا بدنيهم المعتقدين فيه بأن المسيح هو ابن الله. وأنه هو ربهم، وأنه ملك السموات والأرض. فإن الاعتقاد بأن المسيح ابن مريم هو ابن الله؛ لم يظهر إلا من بعده بمجمع نيقية سنة ٣٢٥م.

وبيان ذلك:

إن النبي الأمي الآتي مثل موسى وهو محمد ﷺ، قد لقّبه داود عليه السلام بلقب "ابن الله"[١٣٥] مجازًا. كناية عن أنه سيكون من جماعة المؤنين بالله، لا من جماعة الشيطان الذي هو عدو الله.

وفي التوراة أن كل إنسان من بني إسرائيل هو ابن لله على هذا المعنى. لقوله: "أنتم أولاد للرب إلهكم"[١٣٦]. وفي الإنجيل: "وأما كل الذين قبلوه؛ فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله. أي المؤمنون باسمه"[١٣٧].

وقد بشر يوحنا المعمدان والمسيح عيسى بمحمد بلقب "ابن الله"، كما هو واضح من إنجيل يوحنا[١٣٨]. وقد صرح المسيح عيسى بأنه رسول الله، الذي هو ملك السموات والأرض. ومن هذه النصوص:

---

(135) "لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل، قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معًا على الرب، وعلى مسيحه قائلين: لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربطهما الساكن في السماوات. يضحك الرب يستهزئ بهم، حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه، أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي، إني أخبر من جهة قضاء الرب قال لي: أنت ابني أنا اليوم ولدتك، اسالني فأعطيك الأمم ميراثًا لك، وأقاصي الارض ملكًا لك، تحطمهم بقضيب من حديد مثل إناء خزاف تكسرهم، فالآن يا أيها الملوك تعقلوا تأدبوا يا قضاة الأرض، اعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة، قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق؛ لأنه عن قليل يتقد غضبه، طوبى لجميع المتكلين عليه" [مزمور: ٢].

(136) تث: ١٤: ١.

(137) يوحنا: ١: ١٢.

(138) "وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير، فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له: يا معلم هو ذا الذي كان معك في عبر الأردن الذي أنت قد شهدت له هو يعمد، والجميع يأتون إليه. أجاب يوحنا

في إنجيل يوحنا: "فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به: إنكم إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون الحق، والحق يحرركم. أجابوه: إننا ذرية إبراهيم، ولم نستعبد لأحد قط كيف تقول أنت أنكم تصيرون أحرارًا.

أجابهم يسوع: الحق الحق أقول لكم أن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية، والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الابد، فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا، أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم، لكنكم تطلبون أن تقتلوني؛ لأن كلامي لا موضع له فيكم، أنا اتكلم بما رأيت عند أبي، وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم. أجابوا وقالوا له: أبونا هو إبراهيم.

قال لهم يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من

وقال: لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئًا إن لم يكن قد أعطي من السماء، أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت لست أنا المسيح، بل إني مرسل أمامه من له العروس فهو العريس، وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه، فيفرح فرحًا من أجل صوت العريس، إذًا فرحي هذا قد كمل، ينبغي أن ذلك يزيد، وإني أنا أنقص الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع، والذي من الأرض هو أرضي، ومن الأرض يتكلم الذي يأتي من السماء، هو فوق الجميع، وما رآه وسمعه به يشهد، وشهادته ليس أحد يقبلها، ومن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق؛ لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله؛ لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح، الآب يحب الابن، وقد دفع كل شيء في يده، الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله" [يوحنا ٣: ٢٥- ٣٦].

وأيضا: "الحق الحق أقول لكم: إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني، فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة. الحق الحق أقول لكم: إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون؛ لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضًا أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطانًا أن يدين أيضا؛ لأنه ابن الإنسان، لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيات إلى قيامة الدينونة. أنا لا اقدر أن أفعل من نفسي شيئًا، كما أسمع أدين، ودينونتي عادلة؛ لأني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الآب الذي أرسلني" [يوحنا ٥: ٢٤- ٣٠].

الله، هذا لم يعمله إبراهيم، أنتم تعملون أعمال أبيكم. فقالوا له: إننا لم نولد من زنا لنا أب واحد، وهو الله.

فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني؛ لأني خرجت من قبل الله، وأتيت لأني لم آت من نفسي، بل ذاك أرسلني لماذا لا تفهمون كلامي؛ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي: أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ذاك كان قتالاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحق؛ لأنه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له؛ لأنه كذاب وأبو الكذاب، وأما أنا فلأني أقول: الحق لستم تؤمنون بي من منكم يبكتني على خطية، فإن كنت أقول: الحق فلماذا لستم تؤمنون بي، الذي من الله يسمع كلام الله؛ لذلك أنتم لستم تسمعون؛ لأنكم لستم من الله. فاجاب اليهود وقالوا له: ألسنا نقول حسنًا أنك سامري وبك شيطان؟

أجاب يسوع: أنا ليس بي شيطان لكني أكرم أبي وأنتم تهينونني، لست اطلب مجدي يوجد من يطلب ويدين"[139].

***

دعوة المسيح عيسى عليه السلام عامة لبني إسرائيل وللأمم:

وقصة أهل الكهف تدل على أن دعوة المسيح عيسى عليه السلام عامة لبني إسرائيل للأمم؛ لأنه أرسل رسلاً من طرفه إلى الأمم. وآمنت الأمم برسالتهم، ومنهم أهل أنطاكية وأهل أفسوس في تركيا. ورسالته كانت هي للتبشير بمجيء محمد ﷺ، العمل بالتوراة إلى أن يظهر محمد ﷺ لا أكثر ولا أقل.

***

[139]) يوحنا: ٨: ٣١- ٥٠.



ولما كان أهلُ الكهف فارّين بدينهم في أيام دقليديانوس ٢٤٩- ٢٥١م، ولما كان مجمع نقيية كان في سنة ٣٢٥م، ولما كان خروجهم من الكهف في القرن الخامس؛ تكون عقيدتهم التي صرحوا بها حال العثور عليهم في الكهف هي أن المسيح بن مريم رسول الله، وأن كل كلامه عن محمد ﷺ صحيح. وقد صرحوا بذلك أمام مسيحيين لا أمام نصارى.

تم الكتاب ولله الحمد.



الفهرس




أبــو سلــوم المعتــــزلي


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
